المكتبة الاشتراكية

ستالين



الإنسان أثمن رأسمال

مع

في سبيل تكوين بولشفي

المكتبة الاشتراكية

ستالين

الانسان اثمن رأسمال

مع

في سبيل تكوين بولشفي



الانسان اثمن رأســمال

خطـاب

القي في قصر الكرملين

بمناسـبة

تخرج طلاب اكاديمية الجيش الاحمر

(٤ مايس ١٩٣٥)

ايها الرفاق .

لايستطيع أحد ان ينكر اننا أحرزنا ، في الايام الاخيرة، نجاحا كبيرا ان في ميدان البنـاء او في ميدان الحكم . وحـول هـذا الموضوع يتكلم الناس عندنا كثيرا على جدارة الموجهين ، وجدارة الزعماء ، وينسبون اليهم كل شيء ، كل ماحققناه تقريبا. ان هؤلاء الناس لمخدوعون ، بطبيعة الحال ، وهم على ضلال من أمرهم . اذ أن الأمر لايتعلق بالزعماء وحدهم فقط . ولكن ليس هذا مـا اريد أن أتحدث عنه اليوم ، بل انني أصر على قول بضع كلمـات حول موضوع الملاكات ، موضوع ملاكاتنا بصورة عامة ، وملاكات جيشنا الاحمر بصورة خاصة .

انكم تعلمون اننا ورثنا عن الازمنة القديمة بلادا ذات فن صناعي (تكنيك) متأخر ، بلادا بائسـة محطمة ؛ حطمتها سنوات اربع من الحرب الاستعمارية ؛ وحطمتها كذلك سنوات ثلاث مـن الحرب الاهلية ؛ بلادا سكانها نصف أميين ، وفنها الصناعي منحط ،

وذات مراكز صناعية صغيرة غارقة في وسط خضم من أدنى أنواع الاستثمار القروي : تلك هي البلاد التي ورثناها عن الماضي .

وكانت المهمة الملقاة على عاتقنا آنذاك هي أن ننقل هذه البلاد من حالة القرون الوسطى المظلمة الى حالة الصناعة الحديثة والزراعة التي تعتمد على الآلـة . وانها لمهمة صعبة وشاقة كما ترون .

وكانت المسألة تطرح أمامنا على هذا الشكل : اما أن ننجز هذه المهمة في أقصر فرصة ممكنة ونقوي دعائم الاشتراكية فـي بلادنا ، واما الا ننجزها وحينئذ تفقد بلادنا ، الضعيفة فنيا والمتخلفة ثقافيا ، استقلالها ، وتصبح فريسة للدول الاستعمارية .

كانت بلادنا آنذاك تجتاز مرحلة من الفقر في الفن الصناعي فظيعة . فقد كانت تنقصنا الماكينات في الصناعة . ولم تكن عندنا ماكينات للزراعة . ولا ماكينات للنقل . ولم يكن عندنا ذلـك الاساس الفني الاولي الذي لايمكن ان نتصور بدونه تحولا صناعيا في بلد من البلدان . لقد كانت توجد عندنا بعض البذور فقط من اجل خلق مثل ذلك الاساس . ولقد كان يتحتم علينا خلق صناعة كبيرة من الطراز الاول . وكان يجب توجيهها بصورة تجعلها قادرة على اعادة تنظيم فني ، ليس للصناعة وحدها فحسب ، بل للزراعة أيضا ، ولوسائل النقل الحديدية كذلك ، وفي سبيل ذلك كان ينبغي ان نفرض على انفسنا التضحيات ، وان نؤمن ادخارا دقيقا من كل شيء ؛ كان ينبغي أن نقتصد في التغذية ، وفي المدارس ، وفي الاقمشة ، لكي نجمع المال اللازم لخلق الصناعة . ولايوجد ثمة طريق اخرى سوى هذه الطريق لمعالجة الفقر الفني . وهذا ماعلمنا اياه لينين ، وفي هذا الميدان سرنا على هدى خطوات لينين .

وانا لندرك تمام الادراك انه لم يكن علينـا ان ننتظر نجاحا سريعا ومتواصلا في مشروع ضخم وشاق مثل هذا المشروع . والنجاح في مثل هذه الحال لا يمكن أن يظهر الا في نهاية بضـع سنوات . كان ينبغي علينا اذن أن نتسلح بأعصاب متينة ، وبعـزم بولشفي ، وبصبر عنيد لكي نتغلب على الاخفاق الذي صادفنـاه في باديء الامر ، ولكي نسير ، دون ان ننثني ، نحو غايتنا ، مـن غير ان نسمح للتردد والريبة ان يظهرا بين صفوفنا .

وانكم لتعرفون اننا نفذنا هذه المهمة بحذافيرها عـلى هذا الشكل الذي ذكرت الا أن جميع رفاقنا لم يكونوا يملكون تلـك الاعصاب المتينة ، ولا ذلك الصبر ، ولا ذلك العزم ، بشكل كاف. فقد وجدنا بين رفاقنا من دعانا الى التقهقر منذ العقبات الاولى، وقد يقول قائل : «ولم نقلب رماد الماضي ؟» . من البدهي ان هذا القول صحيح . ولكن الانسان قد وهب ذاكرة وهو يذكر الماضـي بصورة غير ارادية ، حين ينصب امام عينيه ميزان أعماله (حركة سرور في القاعة) . نعم ، لقد وجد بيننا رفاق اخافتـهم العقبات فدعوا الحزب الى الفرار . لقد كانوا يقولون : « مافائدة التصنيع، وتنظيم الجماعات ، والماكينات والصب ، والجرارات، والحصادات، والسيارات ؟ انكم تصنعون خيرا لو أنكم تزيدون من نسبة القماش التي تقدمونها ، ولو انكم تشترون شيئا أكثر من المواد الاولية لصنع البضائع ذات الاستهلاك العظيم ، ولو انكم تعطون للسكان أكثـر مما تعطونهم الآن من جميع هذه الاشياء الصغيرة التي تبعث الجمال في حياة الناس اليومية . وان خلق صناعة ، صناعة من الطراز الممتاز ، مع علمنا بوضعنا المتأخر ، لهو حلم خطير » .

انه لمن البدهي ان المليارات الثلاثة من الروبلات التي جمعناها ، من القطع النادر الاجنبي ، بفضل ما قمنا به من اقتصاد قاس ، والتي صرفناها في سبيل خلق صناعتنا ، كان في وسعنا ان نستخدمها لاستيراد المواد الاولية ، ولزيادة صنع البضائع ذات الاستهلاك العظيم . وهذا « منهاج » وحيد في نوعه ايضا . الا اننا «بمنهاج» مثل هذا المنهاج ما كنا لنحصل ، لو اننا طبقناه،على صناعة معدنية،ولاعلى منشآت ميكانيكية،وعلى جرارات وسيارات،ولاعلى طيارات ودبابات،بل كنا سنجدأنفسنا عزلا من السلاح امام أعدائنا الخارجيين . وكناستنقوض دعائم الاشتراكية في بلادنا وسنجد انفسنا سجناء البورجوازية الداخلية والخارجية.

ومن البدهي انه كان ينبغي علينا ان نختار بين منهاجين : منهاج التقهقر الذي كان يقود – وينتهي حتما – الى فشل الأشتراكية ، ومنهاج الهجوم الذي كان يقود – وهو قد ادى كما تعرفون جيدا – الى فوز الاشتراكية في بلادنا .

لقد اخترنامنهاج الهجوم،وسرنا الى الأمام في الطريق الى اللينينية، طارحين جانبا اولئك الرفاق الذين لم يكونوا يرون ابعد من انوفهم، والذين كانوا يغمضون عيونهم عن مستقبل بلادنا القريب،مستقبل الاشتراكية عندنا .

الا ان اولئك الرفاق لم يكتفوا دوما بتوجيه النقد والقيام بالمعارضة ، بل أنهم كانوا يهددوننا باثارة عصيان في قلب الحزب ضد اللجنة المركزية ، وزيادة على ذلك ايضا فانهم كانوا يهددون قسما منا بالرصاص . لقد كانوا يظنون ، كما يبدو ، انهم يبعثون

الخور في نفوسنا ، وانهم يكرهوننا على الانثناء عن الطريق اللينينية. وقدنسي اولئك الرجال ، دون ريب ، اننا ، نحن البولشفيين، نسيج وحدنا . لقد نسوا أن البولشفيين لايجبنون أمام الصعوبات، أو امام التهديدات . لقد نسوا أننا من صنع لينين العظيم ، زعيمنا، ومربينا ، وابينا ، الذي كان يجهل ، في النضال ، الخوف ولا يستطيع ان يتصوره . لقد نسوا انه كلما تحرك الاعداء سقط خصوم الحزب الداخليون في الهستريا ، وانه كلما اشتعل البولشفيون حماسة للنضال الجديد ازدادت حدة خطواتهم السائرة الى الامام .

ومن البدهي اننا لم نفكر حتى بالانحراف عن الطريق اللينينية . وزيادة على ذلك ، فاننا ماكدنا نسير في هذا الطريق حتى تابعنا المسير ، بانطلاق اشد ، جارفين من الطريق العراقيل من أي نوع كانت . وانه لمن الحق أن نذكر اننا اضطررنا ، أثناء سيرنا ، الى القسوة على بعض هؤلاء الرفاق . الا انه لم يكن في وسعنا ان نقوم بغير ذلك . ويجب علي أن اعترف بدوري، فقد ساهمت بنصيبي في هذا المضمار (تصفيق حاد ، وصيحات اعجاب : هورا !) .

نعم أيها الرفاق . لقد سرنا بخطى حازمة لاتقاوم في طريق التصنيع وتنظيم الجماعات، في بلادنا . ويمكننا الان ان نعتبر ان هذه الطريق قد قطعت .

ويعترف الناس جميعا اليوم بأننا أحرزنا نجاحا واسعا في هذه الطريق ، ويعترف الناس جميعا اليوم بأن عندنا صناعة من الطراز الاول ، وزراعة قوية تعتمد على الميكانيك ، ووسائل نقل

تنمو وتسير في خط صاعد ، وجيشا احمر منظما ومجهزا بصورة كاملـــة .

وماذلك الا لأننا تغلبنا على مرحلة الفقر الفني في خطوطهــا الرئيسية .

الا أننا بعد تغلبنا على مرحلة الفقر الفني ، دخلنا في مرحلة جديدة : هي مرحلة الفقر بالرجال ، بالملاكات ، بالعمال الذيــن يعرفون كيف يسيطرون على الفن الصناعي ، والذين يدفعونــه الى الامام . وانه لصحيح تماما اننا نملك معامل ، ومصــانع ، وجمعيات تعاونيــة (كولخــوزات) ، وتعاونيــات حكوميــة (سوفخوزات) ، ووسائل للنقل ، وجيشا ، واننــا نملك فنــا صناعيا خاصا ، الا انه ينقصنا الرجال المجهزون بالخبرة الضرورية التي تسمح لهم في استخلاص اقصى مايمكن استخلاصه مـن الفن الصناعي . لقدكنا نقول سابقا « الفن (التكنيك) يقرركل شيء» . وقد ساعدنا هذا الشعار ، بمعنى انه أفادنا في معالجة الفقر الفني ، وفي خلق اساس واسع لتسليح رجالنا ، تسـليحا يشـمل جميع فروع النشاط ، بفن من الطراز الاول . كل هذا حسن . ولكنه بعيد عن أن يكون كافيا . فلكي نجعل الفن الصناعي في حركـة دائمة ، ولكي نستخدمه حتى النهاية ، يلزمنا رجال يسيطرون على الفن الصناعي ، تلزمنا ملاكات قادرة على تمثل هذا الفن الصناعي واستخدامه حسب جميع قواعد الفن ، اذ أن الفن الصناعي بدون رجال يسيطرون عليه ، شيء ميت . والفن الصناعي ، اذا كان على راسه رجال يسيطرون عليه ، يمكن ــ او يجب ــ ان يقوم بالمعجزات . فلو اننا نملك في مصانعنا ، ومعاملنا ذات الطراز الممتاز وفي التعاونيات الحكومية (سوفخوزات) والجمعيات التعاونية

(كولخوزات) وفي وسائل النقل ، وفي جيشنا الاحمر ، عددا كافيا من الملاكات القادرة على السيطرة على الفن الصناعي لحصلت بلادنا على ثلاثة اضعاف ، او اربعة أضعاف مانملك الآن ،ولهذا ينبغي أن يتجه كل جهدنا اليوم نحو الرجال ، نحو الملاكات ، نحو العمال ، اسياد الفن الصناعي . ولهذا ايضا كان الشعار القديم « الفن يقرر كل شيء » انعكاسا لمرحلة مضت ، حين كان الفقر الفني يتحكم فينا ويجب أن يبدل الآن بهذا الشعار الجديد « الملاكات تقرر كل شيء » . وهذا هو الجوهري اليوم .

هل يمكن ان نقول ان رجالنا فهموا المدى الواسع لهذا الشعار الجديد وانهم قد استوعبوا معناه تماما ؟ انني لا اقول ذلك . فلو أن الامر كان كذلك ، لما راينا هذا الموقف المريب تجاه الرجال ، والملاكات ، والعمال ؛ هذا الموقف الذي نشاهده غالبا في التطبيق العملي . وشعار « الملاكات تقرر كل شيء » يتطلب من موجهينا ان يبدوا اكبر العناية نحو عمالنا « الصغار » أو «الكبار» مهما كان الميدان الذي يعملون فيه ، وأن يربوهم بعناية، وان يساعدوهم حين يكونون بحاجة الى سند ، وان يشجعوهم حين يحرزون النجاح الاول ، وان يقودوهم الى الأمام الخ...

واننا لنسجل في الواقع عددا من الامثلة عن النزعة المكتبية (البيروقراطية) التي لاقلب لها ، وموقفا مريبا ، بكل صراحة ، تجاه اعواننا . وهذا مايفسر بوضوح انه عوضا عن محاولة معرفة الرجال لتسليمهم المراكز بعد ذلك نرى انه كثيرا مانتقلهم من مكان الى آخر كما نفعل باحجار الشطرنج البسيطة . لقد تعلمنا تقدير

الآلات تقديرا حسنا ، وتعلمنا القيام ببعض النسب حول الفن الصناعي في مصانعنا ومعاملنا ، ولكنني لا أعرف مثلا واحدا حصلنا عليه بنفس الحماسة عن عدد الرجال الذين كوناهم خلال مثل هذه المرحلة ، وكيف ساعدناهم على التطور والانخراط في العمل . ماهو السبب في كل هذا ؟ السبب هو انا لم نتعلم بعد تقدير الرجال والعمال والملاكات .

وانني لا ازال اذكر حادثا كنت احد شهوده في سيبيريا يوم كنت منفيا . وكنا في فصل الربيع في قلب المياه الفائضة . وقد ذهب مايقارب الثلاثين رجلا لالتقاط الاحطاب التي يجرف منها النهر العريض الهائج . وحين عادوا في المساء الى القرية كان ينقصهم واحد من رفاقهم . فسألتهم : « اين صاحبكم ؟ » فأجابوا غير مكترثين انه بقي هناك . وكيف ذلك ، بقي هناك ؟ فاجابوا بالشكل نفسه من عدم الاكتراث : « لقد غرق ، الى الشيطان » . وعلى الفور اسرع أحدهم بالذهاب قائلا : « يجب ان اذهب لأسقي فرسي » . وحين وبختهم لانهم يرفقون بالحيوان اكثر من رفقهم بالانسان أجاب أحدهم ، وهو مبجل عندهم : « لاتتعب نفسك في الاسف على الرجال . فالرجال يمكن ان يوجدوا دوما . اما الفرس .. فحاول أن توجد واحدة .. (موجة سرور عامة) .. » هذا هو أحد الامثلة ذات الدلالة العظيمة وإن كان غير بالغ الاهمية . انه ليخيل الي أن عدم الاكتراث الذي يتصف به بعض موجهينا تجاه الرجال والملاكات ، وعجزهم عن تقديرهم ما هما الا من رواسب ذلك الموقف الغريب الذي كان يقفه الانسان تجاه أمثاله ، والذي ينتج عن هذه الحادثة التي جئت الان على سردها على مسامعكم والتي رأيناها في أقاصي سيبيريا .

وعلى هذا ، اذا اردنا ، أيها الرفاق ، أن نعالج الفقـــر بالرجال ، وان نضمن أن تتمتع بلادنا بملاكات كافية، قادرة على القيام بالتقدم الفني وعلى دفعه الى العمل ، فان علينا أن نعرف تقدير الرجال قبل كل شيء ، وتقدير الملاكات ، وتقدير كل عامل قادر على أن يكون نافعا للمصلحة العامة . **ويجب اخيرا ان نفهم ان من بين جميع رؤوس الاموال الثمينة في العالم يوجد رأس مال هو أكثرها اهمية وأكثرها فضلا ألا وهو الرجـال ، المـلاكات .** ويجب أن نفهم أن « الملاكات تقرر كل شيء » في ظروفنا الحالية. فاذا ماحصلنا على ملاكات صالحة وعديدة في الصناعة والزراعـة والنقل والجيش فان بلادنا ستكون حينذاك منيعة الجانب . اما اذا لم نحصل على هذه الملاكات فاننا سنكون حينئذ كمن يعرج من رجليه الاثنتين .

وقبل انانهي كلامي ، اسمحوا لي أن اشرب نخب صحـة المتخرجين الجدد من أكاديمية الجيش الاحمر ونخب نجاحهم . وانني أتمنى لهم النجاح الكامل في التنظيم والدفاع عن بلادنا.

أيها الرفاق . لقد انهيتم دراستكم العالية ، وكنتم فيهـــا المبرزين . لكن المدرسة ليست الا دورا تحضيريا . والدرجـات الحقيقية تنالها الملاكات الحقيقية في العمل الحي ، خارج المدرسة. في النضال ضد الصعوبات بغية تذليلها .

تذكروا جيدا ، أيها الرفاق ، أن الملاكات الجيدة هي تلـك التي لاتخشى العقبات ، والتي لاتتهرب منها ؛ بل هي ، عـلى العكس ، تلك التي تسير أمامها لتذللها ، ولتنتصر عليها ، ولا تكتمل الملاكات الجيدة الحقيقية الا في نضالها ضد العقبات. واذا ما

استطاع جيشنا الحصول على عدد كاف من الملاكات الحقيقية ، الملاكات المحاربة ، فانه يكون حينذاك جيشاً لايقهر .

نخب صحتكم ايها الرفاق !

(تصفيق حاد في القاعة كلها . ينهض الجميع ، ويحيون الرفيق ستالين : هورا !..)

المعدنون عند ستالين

(٢٦ كانون الاول عام ١٩٣٤)

سار انجاز المشروع السنوي للحديد الصب سيرا حسنا فاستقبل ستالين وفدا من المعدنين – من مديري مصنع ، وممثلي الجهاز الفني ، وعمال – في السادس والعشرين من شهر كانون الاول من عام ١٩٣٤ بحضور مولوتوف ، رئيس مجلس مفوضي الشعب ، واورجو نيكيدزي ، مفوض الشعب للصناعة الثقيلة. وهنأ الأكاديمي باردين ، المدير الفني لمصنع كوزينتسك ، ستالين، باسم جميع المندوبين ، بمناسبة الفوز العظيم الذي أحرزته صناعة الحديد الصب في عام ١٩٣٤ . .

خطاب ستالين

ورد ستالين على باردين، فتكلم على تطور صناعة الصب في المستقبل . وعلى المسائل الجوهرية في البناء الاشتراكي، فقال:

لم يكن لدينا في الماضي الا عدد قليل من الرجال المهيئين تهيئة فنية . وكانت توضع أمامنا هذه المسألة ذات الحدين : فإما أن نبدأ بتعليم الرجال مبادىء الفن الصناعي في المدارس ، ونرجىء انتاج الماكينات واستعمالها بشكل مكثف الى عشرات السنين ، منتظرين أن تتشكل في المدارس ملاكات فنية متعلمة ، واما أن نلجأ مباشرة الى صنع الماكينات وتطوير استعمالها المكثف في الاقتصاد الوطني لكي نعلم الناس ونشكل الملاكات ، اثناء عملية الانتاج واستعمال الماكينات نفسها ، الفن الصناعي .

ولقد اخترنا الطريق الثانية ، وقبلنا في سبيل ذلك ،جهرا وعن وعي منـا ، ان نتحمل جميع النفقات والمصاريف الباهظة التي كان لايمكن الاستغناء عنها نظرا لنقص الرجال ، المهيئين تهيئة فنية ، والذين يتقنون استخدام الآلات . صحيح اننا قد اتلفنا ، اثناء ذلك الوقت ، عددا من الماكينات لايستهان به . الا أننا قد كسبنا ، مقابل ذلك ، أعز شيء على قلوبنا ، الا وهو الوقت، وخلقنا أثمن شيء في الأقتصاد الا وهو الملاكات . فلقد شكلنا ، في خلال ثلاث سنوات اربعة ملاكات ، من رجال متعلمين ، في ميدان بناء الماكينات من كل نوع (جرارات ، سيارات ، دبابات ،طيارات الخ) كما في ميدان استخدامها بشكل مكثف . وان ماكانت تحتاج اليه أوروبا عشرات السنوات عرفنا اتقانه ، بشكل اجمالي وبخطوطه الكبرى ، خلال ثلاث سنوات او اربع . أما النفقات وفائض المصاريف، والماكينات المحطمة ، والخسائر الاخرى فقد سددناها بشكل واسع . ذلك هو اساس التصنيع السريع الذي سرنا عليه في بلادنا . الا أننا ماكنا لنحصل على هذه النتائج لو أن صناعة الصب ماكانت متطورة ولو أنها ماكانت مزدهرة .

ثم يتابع ستالين كلامه قائلا :

ان لنا ملء الحق في ان نتكلم على النجاح الكبير الذي أحرزته صناعة الصب ، وهي القوة الاساسية للاقتصاد الوطني . لقد انتصرنا . ان هذا صحيح . ولكن لاينبغي ان نتطاول بهذا النجاح. وان أخطر شيء هو الرقاد على أكاليل الغار ونسيان الاخطاء ، ونسيان المهمات اللاحقة .

وهنا يذكر ستالين تمنياته للمعدنين وينبههم الى بعض الاخطاء في عملهم :

ان انتاج الفولاذ ، في جميع البلدان المتقدمة ، يعلوعلى انتاج الصب . وهناك بعض البلدان التي يزيد فيها انتاج الفولاذ على انتاج الصب بين ٢٥-٣٠ في المائة . اما عندنا فالامر على العكس اذ ان انتاج الفولاذ يقل عن انتاج الصب . فالى متى ستدوم هذه الحال ؟ ليس في الأمكان ان نعتبر بلادنا ، في الوقت الحاضر ، بلاد « غابات » ، بلادا لايوجد فيها حديد الخ ... ان بلادنابلاد معادن. الم يحن الوقت الذي ننتهي فيه من هذا التفاوت بين نسبتي الصب والفولاذ ؟ .

والمسالة الثانية التي يجذب اليها ستالين أنظار المعدنين انما هي التأخر في افران « مارتان » وماكنات صنع الصفائح المعدنية في حقل تمثل الفن الصناعي والسيطرة عليه .

لقد أساء كثيرون فهم معنى شعار الحزب « الفن الصناعي ، في مرحلة اعادةالبناء ، يقرر كل شيء » . وكثيرون آخرون فهموه

فهما آليا ، اذ حسبوا اننا اذا كدسنا أكبر عدد ممكن من الماكينات نكون بذلك قد عملنا كل مايتطلبه هذا الشعار ، وهذا خطأ ، اذ لايمكن فصل الفن الصناعي عن الرجال الذين يديرونه . ان الفن الصناعي بدون رجال شيء ميت ، فشعار « الفن الصناعي » في مرحلة البناء ، يقرر كل شيء » لايفهم منه الفن الصناعي وحده، بل الفن الصناعي وعلى رأسه الرجال الذين يسيطرون عليه ، ولا يكون فهم هذا الشعار مضبوطا الا بهذا الشكل . فمنذ أن تعلمنا تقدير الفن الصناعي كان علينا أن نعلن ، دون مواربة ، ان الرجال هم الذين سيطروا على الفن الصناعي ، ولكن ينتج عن هذا انه اذا كنا نلح ، في الماضي ، على الفن الصناعي والماكينات فقط فانه ينبغي ان نلح اليوم على الرجال ، اسياد الفن الصناعي ، يجب أن نعني جيدا بكل عامل قادر حاذق ، يجب أن نعني به وان نجعله كبيرا. يجب أن نجعل الرجال كبارا بنفس العناية ونفس الاقبال اللذين يقوم بهما البستاني تجاه شجرة مفضلة لديه ، يجب أن نربي الانسان ، وان نساعده في أن يصبح كبيرا ، وان نفتح امامه مجالات واسعة ، وان نجعله يتقدم في الوقت المناسب ، وأن نعهد اليه في الوقت المناسب كذلك عملا آخر ، اذا لم يتمكن من بلوغ غاية مهمته ، دون أن ينهار نهائيا . فجعل الرجال يشعرون بأنهم كبار ، وخلق عمال ممتازين منهم ، ووضعهم في المكان اللائق بهم ، وتنظيمهم تنظيما حكيما في الأنتاج ، وتنظيم الاجور بشكل يدعم حلقات الانتاج الحاسمة ويدفع الرجال الى اكتساب ميزات عالية، هذا هو كل ماينبغي علينا القيام به لخلق جيش وفير العدد من الملاكات الفنية للانتاج .

والواقع أن الامور لاتسير كما يرام في هذه النقطة عندكم (متجها الى مديري المصانع) ولقد عرفتم تقريبا كيف تشكلون وتنظمون رجالا ذوي خبرة فنية جديدة فيما يخص الافران العالية ، لكنكم لم تستيطعوا القيام بمثل هذا العمل في القطاعات الاخرى من التعدين ، ولهذا السبب بالضبط تأخر الفولاذ والصفائح عن الصب ، فالمهمة تنحصر اخيرا في سد هذه الثغرة . وينبغي أن تضعوا نصب أعينكم دوما انه، الى جانب الصب ، يلزمنا كثير من الفولاذ والصفائح.

وبعد خطاب ستالين جرت محادثة حية دامت مايقرب من سبع ساعات متوالية تناول الحديث فيها المشرفون على صناعة الصب ومديرو المصانع ، وموجهوها الفنيون ، ورؤساء المعامل (الورشات) ومناضلو الحزب والعمال وتكلم كل واحد من هؤلاء بالتفصيل على مجالات صناعة الصب في عام ١٩٣٥ ، وعلى وسائل حل المعضلات التي طرحها ستالين على بساط البحث ، وعلى الانطلاقة القوية الخلاقة التي تتجلى في المصانع ، وقد بلغ عدد الخطباء أكثر من عشرين خطيبا . واظهرت كلماتهم ، بكل وضوح، ان عمال صناعة الصب السوفياتيين قد أحرزوا ، في السنوات الاخيرة ، نجاحا باهرا في السيطرة على الفن الصناعي، وان كل واحد منهم يعرف تمام المعرفة ، ليس فقط المصنع الذي يعمل فيه، بل انه ليعرف المصانع الاخرى ايضا ، وأن منافسة حماسية قد قامت في سبيل عمل اشتراكي مفهوم على أحسن وجه ، أكثر تنظيما واكثر عناية .

□ □ □

في سبيل تكوين بولشفي

تقرير قدم الى الهيئة العامة للجنة المركزية للحــزب

الشيوعي في جمهوريات الاتحاد السوفياتي الاشتراكية

(٣ آذار ١٩٣٧)

نقائص عمل الحزب

والتدابير الواجب اتخاذها لتصفية الرجال

ذوي الوجهين ، والتروتسكيين وغيرهم

يبدو من التقارير التي استمعنا اليها ، في الهيئة العامة ،ومن المناقشات التي تلتها أن علينا أن نقوم بأعمال رئيسية ثلاثةوهي:

اولا ـ لقد تناول عمل التخريب ، والتجسس ، والتضليل، الذي يقوم به عملاء الدول الاجنبية ، ويلعب بينهم التروتسكيون دورا فعالا ، جميع منظماتنا ، أو مايقرب من جميع منظماتنا ، الاقتصادية منها والادارية ، وكذلك الحزبية .

ثانيا ـ لقد اندس عملاء الدول الاجنبية ، ومن بينهم التروتسكيون ، ليس فقط في منظمات القاعدة ، بل في بعض المراكز المسؤولة .

ثالثا ـ لم يتمكن بعض قادتنا ، في المراكز كما في الاطراف، من الكشف عن الوجه الحقيقي لهؤلاء المخربين وعملاء التضليل، والجواسيس ، والقتلة ؛ بل انهم ، زيادة على ذلك ، ظهروا كأنهم غير مكترثين ، طيبو القلوب ، ساذجون لدرجة انهم ساهموا ،هم أنفسهم ، في أغلب الاحيان في الحاق عملاء الدول الاجنبية بهذه الوظيفة أو تلك من الوظائف الرئيسية .

تلك هي الامور الثلاثة المحتومة التي تتشعب ، بصورةطبيعية، عن العلاقات والنزاعات التي تلتها .

- ١ -

التهـــاون السياســـي

كيف نعلل أن موجهينا ، الذين يملكون خبرة غنية في النضال ضد التيارات المناهضة للحزب والنزعات المعادية للسوفياتيين من كل نوع ، قد ظهروا صدفة « في منتهى السذاجة والعمى » ولم يعرفوا كيف يكشفون عن الوجه الحقيقي لأعداء الشعب ، ولم يتمكنوا من معرفة الذئاب التي تنكرت بجلود الخراف ، ولم يعرفوا انتزاع الاقنعة عن وجوههم ؟

هل نستطيع التأكد بأن عمل التخـريب ، والتجسـس ، والتضليل ، الذي يقوم به عملاء الدول الاجنبية ، الذين يمارسون نشاطهم على أرض الاتحاد السوفياتي ، يمكن أن يكون بالنسبـة الينا شيئا غير متوقع وغير ملحوظ ؟ لا ، اننا لانستطيع تأكيـد ذلك . والادلة على ذلك هي أعمال التخريب المرتكبة فـي جميـع فروع الأقتصاد الوطني والمسجلة في وثائق رسمية ، خلال السنوات العشر الاخيرة ، منذ أيام مؤامرة (شاختي) .

هل نستطيع التأكيد انه ، في الازمنة الاخيرة ، لم تنبهنـا اية علامة ، ولم نحذر من نشاط التخريب ، والتجسس ، والارهاب ، الذي كان يقوم به العملاء التروتسكيون وأعوان الفاشية ؟ لا ، اننـا لانستطيع تأكيد ذلك ، فقد كان لدينا من هذه العلاقات ، وليـس للبولشفيين الحق في نسيانها .

ان حادثة اغتيال (كيروف) الاثيمة كانت اول انذار صريح بأن اعداء الشعب كانوا سيلعبون لعبة مزدوجة ، وانهم – وقد

فعلوا ذلك ـ سيتقنعون بقناع البولشفيين واعضاء الحزب لكي يكسبوا الثقة ، ولكي يشقوا طريقهم الى منظماتنا .

وان دعوى « مركز لينينغراد » وكذلك دعوى (زينوفييف ـ كامينييف) قد قدمتا لنا دعامة جديدة للدروس التي كانت قد نجمت عن حادث اغتيال « كيروف » .

وقد وسعت دعوى « الكتلة الزينوفييفية ـ التروتسكية » عن الدعاوى السابقة ، واظهرت ، بكل وضوح ، أن الزينوفييفيين والتروتسكيين انما يجمعون حولهم جميع العناصر البورجوازية المعادية ، وانهم أصبحوا يشكلون وكالة للتجسس ، وللتضليل، والارهاب ، وللجستابو الالماني ، وأن اللعبة المزدوجة ـ والتنكر هما ، بالنسبة للزينوفييفيين والتروتسكيين الوسيلة الوحيدة للتغلغل في منظماتنا ، وان الحذر الشديد ، والنظر الثاقب في السياسة يشكلان أضمن الوسائل للحيلولة دون هذا التغلغل ، ولتصفية العصابة الزينوفييفية التروتسكية .

وقد استنفرت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، بكل حزم ، في رسالتها المكتومة المتعلقة بقضية اغتيال « كيروف » ، منظمات الحزب ضد التساهل السياسي والتبالة البورجوازية . وهاكم ماتقوله تلك الرسالة المكتومة :

« يجب أن ننهي الأمر مع التساهل الانتهازي الناجم عن تلك الفرضية الضالة التي ترى أنه كلما تضاعفت قوانا أصبح العدو أكثر أنسا وأقل أذى . ان هذه الفرضية ضالة ضلالا مبينا. انها سوء انحراف من اليمين ، حين تؤكد للجميع ولكل واحد، أن

الاعداء سيدخلون في الاشتراكية بكل رقة ، وانهم سيصبحون ، في نهاية الامر ، اشتراكيين حقيقيين . انه لايليق بالبولشفيين ان يستريحوا الى أكاليل الغار التي حصلوا عليها وان يعيشوا في الاحلام . ان مايجب علينا عمله ليس التساهل، بل هو التيقظ الحذر، التيقظ الحقيقي، الثوري، البولشفي، ويجب الا ننسى انه كلما اصبح مركز الاعداء موئسا تعلقوا بالوسائل المتطرفة طائعين ، باعتبارهذه الوسائل الملجأ الوحيد للرجال الذين ينذرون أنفسهم للهلاك في سبيل نضالهم ضد السلطة السوفييتية . يجب ان نذكر ذلك دوما وان نظل متيقظين » .

وقد دعت اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، في رسالتها المكتومة المؤرخة في ٢٩ تموز عام ١٩٣٦، والمتعلقة بالنشاط الارهابي والتجسسي للكتلة التروتسكية ـ الزينوفييفية ، الى تعلم الطريقة التي تتم بواسطتها معرفة أعداء الشعب مهما بلغت قدرتهم على التنكر .

وهاكم ما تقوله تلك الرسالة المكتومة ايضا :

« الآن وقد تمت التجربة التي تعلمنا أن الوحوش التروتسكيين ـ الزينوفييفيين انما يجمعون حولهم ، في نضالهم ضد سلطة السوفياتيين ، كافة الاعداء الالداء ، واكبر الاعداء كرها لعمال بلادنا ـ من الجواسيس ، والمحرضين ، والمضللين ، والحرس الابيض ، والكولاك الخ . . ـ وانه قد أزيلت بين هذه العناصر من جهة والتروتسكيين والزينوفييفيين من جهة ثانية جميع الحواجز . وعلى جميع منظماتنا الحزبية ، وكافة أعضاء الحزب أن يفهموا أن تيقظ الشيوعيين الشديد ضروري ، في جميع

القطاعات وفي جميع الشروط . والامر الذي لايمكن الاستغناء عنه بالنسبة لكل بولشفي ، في الظروف الحالية ، ينبغي أن يكون القدرة على التعرف على عدو الحزب مهما أوغل في التنكر » .

وعلى هذا توجد اذن دلائل وعلامات .

فالى اي شيء تدعونا هذه الدلائل وتلك العلامات ؟ انها تدعونا الى تصفية ضعف عمل المنظمات في الحزب ، والى جعل الحزب حصنا منيعا لايستطيع ذو الوجهين الدخول اليه .

انها تدعونا الى التخلص نهائيا من الحط من قيمة عمل الحزب السياسي ، والى التوجه توجها فاصلا نحو تقوية التيقظ الشديد .

وماذا أيضا ؟ لقد اظهرت الوقائع لنا ان رفاقنا ذوي آذان ليست صماء فحسب ، بل انها أكثر من صماء لا تسمع هذه الدلائل والعلامات .

هذا ماتظهره ، بكل وضوح الوقائع التي يعرفها الجميع والمقتبسة عن الريف لتحقيق بطاقات الحزب وتبديلها . فكيف نفسر اذن ان هذه الدلائل والعلامات لم تأت بالنتيجة المرجوة ؟

كيف نفسر أن رفاقنا في الحزب ، على الرغم من تجربتهم في النضال ضد العناصر المعادية للسوفياتيين ، وعلى الرغم من سلسلة من العلامات والانذارات ؛ على الرغم من كل ذلك اظهروا قصراً في النظر في المجال السياسي ، أمام أعمال التخريب ، والتجسس والتضليل التي يقوم بها اعداء الشعب ؟

هل يجوز أن يكون رفاقنا في الحزب قد فقدوا تلك الصفات التي كانت لهم ذات يوم ، وانهم أصبحوا أقل ادراكا واقل مرونة؟ لا ، ثم لا بالتأكيد .

هل نستطيع أن نقول أنهم في طريق الفساد ؟

كذلك لا ! ان فرضية مثل هذه الفرضية لا أساس لها .

اذن ؟ من أين جاء هذا التباله ، وهذا التهاون ، وهذا التساهل ، وهذا العمى ؟

الحقيقة أن رفاقنا في الحزب اشغلتهم المعارك الاقتصادية ، والنجاحات الضخمة في جبهة البناء الاقتصادي فنسوا ، بكل سهولة ، بعض الوقائع ذات الاهمية البالغة ، والتي ليس للبولشفيين الحق في نسيانها . لقد نسوا أمرا جوهريا يمس مركز الاتحاد السوفياتي العالمي ، كما انهم لم ينتبهوا الى أمرين في غاية الخطورة لهما علاقة مباشرة مع المخربين الحاليين ، والجواسيس ، وعملاء التضليل ، والقتلة ، واللذين يكمنان خلف بطاقة الحزب ويتنكران بقناع البولشفية .



- ٢ -

الطـوق الراســمالي

ماهذان الامران اللذان نسيهما ، أو بكل بسـاطة ، لم يدركهما رفاقنا في الحزب ؟

لقد نسـوا ان حكم السـو فياتيين لم ينتصر الا في سدس الكرة الارضية ، وأن الاسداس الخمسة الباقية من الكرة الارضية هي ملك الدول الراسـمالية . لقد نسوا أن الاتحاد السـو فياتي يحيط به طوق راسمالي . وقد جرت العادة عندنا أن نثرثر عن الطـوق الراسمالي ؛ اما التفكير بهذا الشيء ، بهذا الطوق الراسمالي، فاننا نمتنع عن القيام به . ان الطوق الراسمالي ليس جملة فارغة بل هو أمر واقعي جدا ومكروه جدا . ان الطوق الراسـمالي يعني أنه يوجد بلد ، هو الاتحاد السوفياتي : قد نشر في ربوعه النظام الأشتراكي ، وانه يوجد علاوة على ذلك ، عدد كبير من البلاد، البلاد البورجوازية ، التي لاتزال تحيا حياة رأسمالية ، وهي تحيط بالاتحاد السـو فياتي وتتحين الفرصة الملائمة للانقضــاض عليه ، وتحطيمه ، أو شل قوته واضعافه على الاقل .

هذا الامر الجوهري نسيه رفاقنا . وهو مع ذلك الامر الذي يحدد أساس العلاقات بين الطوق الراسمالي والاتحادالسوفياتي.
لنأخذ الدول البورجوازية مثلا . ان كثيرا من الرجال السذج يعتقدون بأنه لاتوجد بينها الا علاقات طيبة ، كما هي الحال بـين الدول ذات الطابع الواحد . ولكن لايستطيع أن يفكر مثل هــذا التفكير الا السذج وحدهم ، اذ ان الحقيقة هي أن العلاقات بين

هذه الدول بعيدة عن أن تكون علاقات حسن جوار . فلقد برهنا، كما يبرهن ان ضرب اثنين في اثنين يســاوي اربعة ، أن الدول البورجوازية تتسابق بالتناوب ، معتمدة على اذنابها وجواسيسها ومخربيها ، وعملاء التضليل عندها ، واحيانا ايضا ، على قتلتها، وانها تعين لهم مهمة هي أن يتغلغلوا في مؤسسات هذه الــدول ومنشآتها ، وان يشكلوا فيها خلاياهم ، وان ينسفوا ، في حال الضرورة القصوى ، مؤخرة هذه الدول لاضعافها وشل قوتها . وهذه هي الحال في الوقت الحاضر . وقد كان الامر كذلك في الماضي . لنأخذ مثلا الدول الاوربية في عصر نابليون الاول . لقد كانت فرنسا تعج آنذاك بالجواسيس ، وعملاء التضليل ، القادمين من معسكر الروس والألمان والنمساويين والانكليز.

وبالمقابل ايضا فقد كان في مؤخرة كل من انكلترا ودول المانيا والنمسا والروسيا ، عدد لايقل عن ذلك العدد من الجواسيس وعملاء التضليل القادمين من المعسكر الفرنسي . وقد قام عمــلاء انكلترا بمحاولتين اثنتين لاغتيال نابليون ؛ كما أثاروا الفلاحين ، في مقاطعة فنديه الفرنسية ، ضد حكومة نابليون في عدة مناسبات . فما كانت حكومة نابليون ؟ انها لم تكن الا حكومة بورجوازية خنقت الثورة الفرنسية واحتفظت بنتائج هذه الثورة فقط ، هذه النتائج التي كانت مفيدة للطبقة البورجوازية الضخمة وينجم عن هــذا ان حكومة نابوليون لم تقف مكتوفة اليدين تجاه جاراتها ، بل انها، هي ايضا ، اتخذت تدابير للتضليل .

لقد كان الامر كذلك فيما مضى ، أي منذ مائة وثلاثــين سنة ، وانه لكذلك الآن بعد مائة وثلاثين سنة منذ عصر نابوليون، ففي الوقت الحاضر ، تعج فرنسا وانكلترا بالجواسيس وبعمــلاء

التضليل الالمان . وبالمقابل فان الجواسيس وعملاء التضليل الانكليز والفرنسيين يعملون ، من جهتهم ايضا ، في المانيا . والولايات المتحدة الاميركية تعج بالجواسيس وعملاء التضليل اليابانيين ، واليابان يعج بالجواسيس وعملاء التضليل الاميركيين.

هذا هو قانون العلاقات بين الدول البورجوازية .

وانالنتساءل لماذا سيكون على الدول البورجوازية انتحتفظ بموقف الطف ، موقف حسن جوار مع الاتحاد السوفياتي بينما هي لاتفعل ذلك مع الدول البورجوازية الاخرى مع انها من نظام واحد ؟ لماذا ينبغي عليها أن ترسل الى مؤخرة الاتحاد السوفياتي عددا اقل من الجواسيس والمخربين وعملاء التضليل والقتلة مماهي الحال في مؤخرة الدول البورجوازية المتشابهة ؟ اين وجدتم كل هذا؟ ألا يكون أكثر صحة اذا ما افترضنا ، منوجهةنظر ماركسية، ان على الدول البورجوازية ان ترسل سريعا ، الى مؤخرة الأتحاد السوفياتي ، ضعف — أو ثلاثة اضعاف — ماترسل من المخربين والجواسيس وعملاء التضليل والقتلة الذين ترسلهم الى ايةدولة بورجوازية اخرى ؟

اليس من الواضح أنه مادام يوجد الطوق الراسمالي فانه سيوجد في بلادنا ، المخربون ، والجواسيس . وعملاء التضليل والقتلة المبعوثون الى مؤخرة بلادنا خلسة من قبل عملاء الدول الاجنبية ؟

كل هذا نسيه رفاقنا في الحزب ، ولقد اخذوا بالمفاجأة ، وهذا هو الذي جعل نشاط التضليل والتجسس ، الذي يقوم به عملاء تروتسكي التابعون للبوليس السري الياباني والالماني ، أمرا مفاجئا عند بعض رفاقنا .

- ٣ -

التروتسكية في ايـامنا

لنتابع حديثنا .. ان رفاقنا في الحزب ، في اثناء نضـالهم ضد العملاء التروتسكيين ، قد نسوا ، أو أنه غاب عنهـم ، ان النزعة التروتلكية الحالية ليست على ماكانت عليه في الماضي، منـذ سـبع سنـوات أو ثماني سنـوات . وان التروتسكيـة والتروتسكيين قد تعرضوا ، خلال هذه الفترة ، لتطور كبير غير وجه التروتسكية تغييرا عميقا ؛ وانه ينبغي ، بالنتيجة ، أن يتغير النضال ضد التروتسكية وطرق النضال ضدها تغييرا جذريا تبعا لذلك . ان رفاقنا في الحزب لم يلاحظوا ان التروتسكية قد انقطعت عن ان تكون تيارا سياسيا في الطبقة العاملة ، وان هذا التيـار السياسي الذي نعرفه ، منذ سبع سنوات أو ثماني سنوات ، قد أصبح عصابة غادرة لامبادىء لها ، عصابة تضم المخربيـن وعملاء التضليل والقتلة الذين يعملون في خدمة الجاسوسية التابعة للدول الاجنبية .

ماهو التيار السياسي في الطبقة العاملة ؟ أن التيـــار السياسي في الطبقة العاملة هو عبارة عن جملة من الناس أو حزب له سحنته السياسية الخاصة به المحددة تحديدا دقيقا واضحا، وله مبادئه ومناهجه ؛ وهو الذي لايخفي ، أو لايستطيع أن يخفي، طريقته في النظر الى الطبقة العاملة ؛ بل ينادي بها صراحة وبأسلوب شريف تحت انظار الطبقة العاملة ؛ وهو الذي لايخشى اظهـار سحنته السياسية للطبقة العاملة ، واعلان اهدافه وغاياته الحقيقية امام الطبقة العاملة ، بل يتجه ، على العكس ، نحو هذه الطبقة،

بوجه سافر ، لأقناعها بصحة وجهة نظره . لقد كان كل شيء من هذا ، منذ سبع سنوات او ثماني سنوات ،حين كانت التروتسكية، في قلب الطبقة العاملة ، اخدى التيارات السياسية ، من ذلك النوع المعادي للينينية ؛ نعم لقد كانت التروتسكية ، على الرغم من ضلالها العميق وعلى الرغم من كل شيء ، تيارا سياسيا.

فهل نستطيع القول مثلا ان التروتسكية الحالية،تروتسكية عام ١٩٢٣ ، هي تيار سياسي في الطبقة العاملة ؟ لا ، اننا لايمكن ان نقول ذلك . لماذا ؟ لان التروتسكيين في ايامنا هذه يخشون الكشف عن وجههم الحقيقي للطبقة العاملة ؛ ولانهم يخفون ،بكل دقة ، سحنتهم السياسية عن انظار الطبقة العاملة خوفا من أن تلعنهم الطبقة العاملة كما تلعن الرجال الاغراب عنها ، وأن تطردهم بعيدا عنها ، اذا ما اتضحت لها نواياهم الحقيقية ، وعلى هذا يمكن ان نفسر بوضوح طريقة العمل التروتسكي الجوهرية التي لاتعتمد على الدعاوة ، المكشوفة والشرعية ، عن وجهات نظرها ، في قلب الطبقة العاملة ، بل تعتمد على التنكر ، والتزلف الحقير والخضوع لوجهات نظر خصومها ، والطريقة المداهنة والرياء في تمريغ وجهات نظرها الخاصة في الوحل .

ففي دعوى عام ١٩٣٦ ، اذا كنتم تذكرون ، انكر كل من كامنييف وزينوفييف جهارا أن يكون عندهما أي نهج سياسي ، ولقد كان بوسعهما أن ينميا منهجهما السياسي أثناء المحاكمة. لكنهما لم يفعلا ذلك في الواقع ، بل صرحا بعدم وجود أي منهج سياسي. مما لأريب فيه انهما كانا يكذبان حين أنكرا عدم وجود ذلك المنهج السياسي اذ أن العميان ، في أيامنا هذه ، يدركون أنه كان عندهم منهج سياسي خاص بهم ، لكن ، لماذا أنكرا وجود المنهج السياسي؟

ذلك لانهما كانا يخشيان اظهار منهاجهما الحقيقي في اعادة تثبيت دعائم الرأسمالية في الاتحاد السوفياتي خوفا من أن يثير مثل هذا المنهج حقد الطبقة العاملة .

وفي دعوى عام ١٩٣٧ اتبع بياتاكوف ، وراديك ، وسوكولينكوف طريقا أخرى ، ولم ينكروا وجود منهج سياسي عند التروتسكيين والزينوفييفيين بل اعترفوا بأن هؤلاء يملكون منهجا سياسيا محددا اعترفوا به وطوروه في تصريحاتهم . ولكنهم طوروه ليس لدعوة الطبقة العاملة ، وللدعوة الشعب لدعم المنهج التروتسكي بل للعنه ولوصمه بأنه منهج معاد للشعب ومعادللطبقة الكادحة (البروليتاريا) . ان اعادة تثبيت الرأسمالية ، وتصفية الجمعيات التعاونية (الكولخوزات) والتعاونيات الحكومية (السوفخوزات) ، واقامة نظام الاستثمار ، والتحالف مع القوى الفاشستية الالمانية واليابانية للاسراعفي اثارة الحرب ضد الاتحاد السوفياتي ، والنضال في سبيل الحرب وضد سياسة السلام، وتجزئة أرض الأتحاد السوفياتي ، وتسليم أوكرانيا الى الالمان والمنطقة البحرية الى اليابان ، وتهيئة الخذلان العسكري في الاتحاد السوفياتي في حال مهاجمته من قبل الدول المعادية ،واتخاذ الوسائل لبلوغ هذه الغايات منها : التخريب،والتضليل،والارهاب الفردي الموجه ضد قادة السلطة السوفياتية ، والتجسسلصالح القوى الفاشستية الالمانية ــ اليابانية ؛ ذلك هو المنهج السياسي للتروتسكية الحالية كما عرضه بياتاكوفوراديك وسوكولينكوف. واننا لندرك الآن أن التروتسكيين لم يكونوا يستطيعون الا اخفاء مثل هذا المنهج عن الشعب وعن الطبقة العاملة . انهم لميكونوا يخفونه عن الطبقة العاملة وحدها بل عن جماهير التروتسكيين أنفسهم ، وليس عن جماهير التروتسكيين وحدهم بل عن فريق

من قواد التروتسكيين ايضا المؤلف من حفنة من ثلاثين او اربعين رجلا . وعندما طلب راديك وبياتاكوف من تروتسكي اذنا بعقد مؤتمر صغير من ثلاثين الى أربعين تروتسكيا لاعلامهم حقيقة هذا المنهج منعهما تروتسكي معلنا بأنه ليس من المنطق عرض طبيعة المنهج الحقيقية حتى على حفنة من التروتسكيين اذ أن « عملية » من هذا النوع قد تسبب الانشقاق .

ان« رجالاً سياسيين »يخفون معتقداتهم ومنهجهم ليس فقط عن الطبقة العاملة بل عن الجماهير التروتسكية نفسها وليس على الجماهير التروتسكية وحدها بل على الفريق الموجه للتروتسكيين : هذه هي سحنة النزعة التروتسكية في ايامناهذه.

ينجم عن ذلك ان النزعة التروتسكية الحالية لا يمكن أن تسمى تيارا سياسيا ضمن الطبقة العاملة .

ان النزعة التروتسكية في أيامنا هذه ليست تيارا سياسيا ضمن الطبقة العاملة لكنها عصابة ، لامبادىء لها ، ولا ايديولوجية، من المخربين وعملاء التضليل ، ونقل المعلومات والتجسس ، والقتلة ، عصابة من الاعداء الالداء للطبقة العاملة ، عصابة تعمل لحساب الجاسوسية التابعة للدول الاجنبية .

هذه هي النتيجة المحتومة لتطور النزعة التروتسكية فيخلال السنوات السبع او الثماني الماضية .

وهذا هو الفرق بين النزعة التروتسكية القديمة والنزعة التروتسكية في ايامنا هذه .

وان الخطأ الذي ارتكبه رفاقنا في الحزب هو انهم لم يدركوا هذا الفرق العميق بين تروتسكية الزمن الماضي وتروتسكية اليوم، انهم لم يلاحظوا ان التروتسكيين قد انقطعوا ، منذ عهد طويل، عن ان يكونوا رجالا ذوي افكار ، وان التروتسكيين اصبحوا منذ عهد طويل ، عصابة من قطاع الطرق القادرين على ارتكاب جميع الاعمال الدنيئة ، وجميع القذارات حتى التجسس والخيانة المباشرة لوطنهم ، لكي يتمكنوا من القضاء على الدولة السوفياتية وسلطة السوفياتيين . ان رفاقنا لم يلاحظوا ، ولم يعرفوا، لهذا السبب، ان يعيدوا تنظيم انفسهم في الوقت الملائم لكي يقوموا بالنضال ضد التروتسكيين بشكل جديد ، وبطريقة اكثر قوة .

هذا هو السبب الذي جعل الاعمال الدنيئة التي ارتكبها التروتسكيون ، في السنوات الاخيرة ، شيئا غير متوقع عند فئة من رفاقنا في الحزب .

ولنتابع كلامنا ، لم يلاحظ رفاقنا في الحزب اخيرا انه يوجد ثمة فارق جوهري من جهة بين المخربين الحاليين وعملاء التضليل الذين يلعب بينهم عملاء الفاشية التروتسكيون دورا فعالا ، وبين المخربين وعملاء التضليل في عهد قضية شاختي من جهة ثانية:

اولا – كان مخربو شاختي واعضاء الحزب الصناعي اناسا غرباء عنا بشكل صريح ، اذ انهم كانوا ، في معظمهم ، من قدماء ملاكي المنشآت الصناعية ، ومن قدماء رجال الحكم التابعين لسادة الماضي ، ومن قدماء المساهمين في الشركات العتيقة المساهمة، او بكل بساطة ، من قدماء الاشتراكيين البورجوازيين الذين كانوا خصوما لنا بشكل صريح من وجهة النظر السياسية . ولم يكن

احد منا ليرتاب في حقيقة الوجه السياسي عند هؤلاء السادة. وفضلا عن ذلك ، فان رجال شاختي انفسهم لم يكونوا يخفون موقفهم العدائي تجاه النظام السوفياتي مما لايمكن ان نقوله ، بنفس الصورة ، عن المخربين الحاليين ، وعملاء التضليل والتروتسكيين : فهم في معظمهم اعضاء حزب يحملون في جيوبهم بطاقة الحزب ؛ وبالنتيجة انهم رجال ليسوا غرباء عنا من الوجهة الرسمية . فاذا كان المخربون القدماء يعملون ضد رجالنا فالمخربون الجدد ، على العكس ، يتزلفونهم ، ويمتدحونهم ، ويتذللون اليهم لكي يكسبوا ثقتهم . فالفارق جوهري كما ترون .

ثانيا – ان ماكان يبعث القوة لدى مخربي شاختي واعضاء الحزب الصناعي انهم كانوا يملكون ، الى حد ما ، معارف فنية ضرورية ، بينما كان رجالنا نحن ، الذين لايملكون تلك المعارف، مضطرين للالتحاق بمدرستهم . وهذا ماكان يعطي الافضلية الكبرى لمخربي عصر شاختي ، اذ انه كان يسمح لهم القيام بالتخريب بكل حرية ودون عراقيل ، وهذا ماكان يسمح لهم أن يخدعوا رجالنا **فنيا** . اما الامر بالنسبة لمخربي ايامنا هذه ، التروتسكيين ، فهو على نقيض ذلك . فالمخربون اليوم ليست لهم اية افضلية فنية على رجالنا . بل على العكس ، ان رجالنا ، من وجهة النظر الفنية ، احسن اعدادا من المخربين الحاليين ، من التروتسكيين . ففي الفترة التي مرت بين عصر شاختي الى ايامنا هذه اتسعت عندنا ملاكات بلشفية حقيقية حديدية من الناحية الفنية حتى بلغت عشرات الالوف من الرجال . ونستطيع ان نذكر الوفا وعشرات من الالوف من الموجهين البولشفيين الذين اتقنوا الفن الصناعي والذين اذا ما نسب اليهم جميع هؤلاء من امثال بياتاكوف ، وليفشيتز ، وبوغوسلافسكي ، ومورالوف ، ودروبنيس لم يكونوا امامهم الا ثرثارين جهلة من ناحية التكوين الفني .

ما الذي يعطي القوة للمخربين الحاليين اذن ؟

ان قوتهم تكمن في بطاقة الحزب ، في امتلاك بطاقة الحزب . ان قوتهم تأتي من ان بطاقة الحزب تعطيهم الثقة السياسية وتفتح امامهم منفذا الى جميع مؤسساتنا ومنظماتنا ، ان افضليتهم اذن هي انهم ، لحصولهم على هذه البطاقة التي تخول لهم سهولة المرور امام أصدقاء سلطة السوفياتيين ، كانوا يخدعون رجالنا سياسيا ، ويسيئون استخدام الثقة التي منحوها ، ويخربون خلسة ، ويفضحون أسرار دولتنا الى اعداء الأتحاد السوفياتي. انها « افضلية » حقيرة بالنسبة لقيمتها السياسية والاخلاقية ، لكنها « أفضلية » تفسر ،بمجموعها،كيف أن المخربين التروتسكيين، الذين يحملون بطاقة الحزب والذين حصلوا بذلك الى منفذ على جميع مراكز مؤسساتنا ومنظماتنا ، كانوا أرضا طيبة لخدمة الجاسوسية التابعة للدول الاجنبية .

ان ضلال بعض رفاقنا في الحزب آت من انهم لم يلاحظوا ، وانهم لم يفهموا كل هذا الفارق بين المخربين القدماء والمخربين الجدد ، بين رجال شاختي والتروتسكيين ؛ ونظرا لانهم لم يلاحظوا ذلك فانهم لم يعرفوا اعادة تنظيم أنفسهم في الوقت المناسب للقيام بالنضال ، على صورة جديدة ، ضد المخربين الجدد .



- ٤ -

الجوانب السلبية للنجاحات الاقتصادية

تلك هي الامور الرئيسية التي تتعلق بوضعناالدولي والداخلي التي نسيها عدد كبير من رفاقنا في الحزب أو انهم لم يلاحظوها .

وهذه هي الاسباب التي جعلت رجالنا يؤخذون على حين غرة بحوادث السنوات الاخيرة فيما يتعلق بالتخريب واعمال التضليل .

ويمكننا ان نتساءل : ولكن لماذا لم يلاحظ رفاقنا كل ذلك، ولماذا نسوا كل هذه الامور ؟ ومن اين ياتي فقد الذاكرة هذا ، وذلك العمى ، وذلك التهاون ، ودلك التساهل ؟

اليس في عمل رجالنا نقص عضوي ؟

لا ، ليس ذلك نقصا عضويا ، بل انه حادث موقت تمكن تصفيته تصفية سريعة شريطة أن يقوم رجالنا ببعض المجهود.

ولكن ماذا نقصد بذلك ؟

الحقيقة ان رفاقنا في الحزب كانوا ، خلال السنوات الاخيرة، غارقين في العمل الاقتصادي وكانت النجاحات الاقتصادية تبعث فيهم الحماسة حتى النهاية ؛ فأنستهم تلك الحماسة كل أمر آخر، واهملوا كل ماتبقى .

الحقيقة انهم بتحمسهم للنجاحات الاقتصادية كانوا يرون فيها بداية كل شيء ونهايته ؛ اما المعضلات التي تمس الوضع الدولي للاتحاد السوفياتي ، والطوق الراسمالي ، وتقوية عمل الحزب

من الناحية السياسية ، والنضال ضد التخريب ، الخ .. فقد انقطعوا ، بكل بساطة ، عن اعارة هذه الامور اي اهتمام حاسبين أن جميع هذه المسائل ليست الآ أشياء من المرتبة الثانية أو حتى الثالثة .

من المؤكد ان النجاحات والتحقيقات شيء عظيم . والواقع أن نجاحاتنا في ميدان البناء الأشتراكي واسعة . الا أن النجاحات، ككل شيء في هذا الكون ، لها ظلالها ايضا ، اذ ان النجاحات العظيمة والتحقيقات العظيمة تولد ، في الغالب ، عند الرجال الذين تعوزهم الخبرة السياسية ، التهاون ، والتساهل ، والرضى ، والثقة المتناهية ، والاكتفاء ، والتبجح . انكم لاتستطيعون ان تنكروا ان المتبجحين قد ازدادوا عددا بيننا في الاونة الاخيرة . وليس من المدهش ابدا أن تظهر الى الوجود ، في هذا الجو ذي النجاحات العظيمة والمتينة في ميدان البناء الاشتراكي ، نزعات التكابر وحب اعلان فارغ عن نجاحاتنا ، ونزعات الى الحط من قيمة قوى اعدائنا ، والرفع من شأن قوانا الخاصة ؛ وينتج عن كل هذا ان يتجلى العمى السياسي .

وبهذه المناسبة ينبغي علي أن اقول بضع كلمات عن الاخطار المرتبطة بنجاحاتنا ، عن الاخطار المرتبطة بتحقيقاتنا .

ان الأخطار المرتبطة بالصعوبات نعرفها بالخبرة وها قد مرت علينا سنوات عدة قدنا فيها النضال ضد اخطار من هذا النوع، من غير اخفاق ، ويجب أن نعترف بذلك ، والاخطار المرتبطة بالصعوبات تولد لدى الرجال المنزقين غالبا نزعات الى التخاذل، وقلة الايمان بقواهم ، نزعات في التشاؤم . اما هناك ، حيث يتعلق

الامر بالتغلب على الاخطار الناجمة عن الصعوبات ، فان الرجال ينغمسون بالنضال ويخرجون منه بولشفيين حقيقيين كأنهم قد قدوا من الصخر الاصم .

هذه هي طبيعة الاخطار المرتبطة بالصعوبات . وهذه هي النتائج التي يقدمها النضال للقضاء على الصعوبات .

لكن يوجد ثمة نوع آخر من الاخطار المرتبطة بالنجاحات وبالتحقيقات بالضبط ، اخطار مرتبطة بالنجاحات والتحقيقات. وهذه الأخطار تنجم عما يأتي : يبعث جو النجاحات ، لدى الرجال الذين تنقصهم المعرفة السياسية ، والذين لايتمتعون بكثير من الخبرة ـ نجاحات فوق نجاحات ، وتحقيقات فوق تحقيقات ، وتفوق في تطبيق المناهج فوق تفوق في تطبيق المناهج ـ نزعات الى التهاون ، والرضى بالنفس ، ويخلق جوا من التفخيم والتعظيم والتهاني المتبادلة يقتل حس القياس ، ويثلم الحدس السياسي، ويفرق الرجال ويخلق عندهم حب النوم على اكاليل الغار التي حصلوا عليها .

وانه ليس من المدهش ابدا أن نرى الرجال ينسون ، في هذا الجو المشبع بالرضى والاكتفاء ، في هذا الجو المشحون بالمظاهر الفارغة والمديح الزائف المتبادل ، بعض الوقائع الجوهرية ذات الاهمية الاولى في تعيين مصير بلادنا ، ويبدأون بعدم ملاحظة الاشياء غير السارة كالطوق الراسمالي ، واشكال التخريب الجديدة والاخطار المتعلقة بنجاحاتنا الخ ... الطوق الراسمالي ؟ ياللغرابة! ولكن هذا ليس امرا تافها ! ما اهمية الطوق الراسمالي اذا كنا نطبق ونجتاز مناهجنا الاقتصادية ؟ اشكال التخريب الجديدة ،

والنضال ضد التروتسكية ؟ اية حماقة هذه ؟ ما اهمية كل هذه الأمور الحقيرة اذا كنا نطبق ونجتاز مناهجنا الاقتصادية ؟دستور الحزب ، وضرورة انتخاب لجان الحزب ، وواجب قادة الحزب في تبرير اعمالهم امام مجموع مناضلي الحزب ؟ ولكن هل كل هذا ضروري ؟ وبصورة عامة ، هل نتعب انفسنا باضاعة الوقت في هذه آلامور التافهة ، اذا كان اقتصادنا في ازدياد ، واذا كان الوضع المادي للعمال والفلاحين في تحسن متواصل ؟ ما أسخف كل هذا ! اننا نجتاز مناهجنا التي نضعها دوما ، وعندنا حزب لابأس به ، واللجنة المركزية للحزب لابأس بها ايضا ، فالى الشيطان اذا كنا بحاجة الى اشياء اخرى ؟ اي نوع من الرجال السخفاء اولئك الذين يقيمون في موسكو ، في اللجنة المركزية للحزب : انهم يبتدعون ألوانا من المشكلات ويتناقشون بما لانعرفه من انواع التخريب ، ولا ينامون ولايتركون غيرهم ينام ..

هذا مثل واضح عن السهولة « والبساطة » التي يصاب بها بعض رفاقنا العديمي الخبرة والماخوذين بمجد النجاحات الاقتصادية ، بالعمى السياسي .

هذه هي الأخطار المرتبطة بالنجاحات وبالتحقيقات .

وهذا هو الذي يجعل رفاقنا في الحزب ، الذين يستسلمون للنجاحات الاقتصادية ، ينسون الوقائع ذات الطابع الدولي والداخلي وذات الاهمية الجوهرية بالنسبة للاتحاد السوفياتي، ولم يلاحظوا مجموعة كبيرة من الاخطار التي تحف ببلادنا .

هذه هي جذور التهاون عندنا وفقدان الذاكرة ، والتساهل والعمى السياسي .

هذه هي جذور مساوىء عملنا الاقتصادي وعملنا في الحزب.

- ٥ -

مهمـــــاتنا

كيف نتوصل الى تصفية هذه المساوىء في عملنا ؟
وما الواجب عمله من اجل ذلك ؟
انه لمن الضروري ان نحقق التدابير التالية :

١ ـ يجب أن نوجه ، قبل كل شيء ، انتباه رفاقنا في الحزب الذين يظلون غارقين في « المسائل الدارجة » في هذا العمل او ذاك ، نحو المسائل السياسية ذات الصفة الدولية او الداخلية .

٢ ـ يجب رفع عملنا السياسي في الحزب الى المستـــوى اللازم ، واضعين في المقام الاول الثقافة السياسية ، وطبع ملاكات الحزب ، والدولة ، والاقتصاد الوطني بالطابع البولشفي .

٣ ـ يجب ان نشرح لرفاقنـا في الحـزب ان النجـاحات الاقتصادية التي لاتنكر اهميتها الكبرى والتي سنستمر في العمل من اجلها يوما بعد يوم ، وسنة بعد سنة ، ان هذه النجـاحات لاتستنفد كل معضلات بنائنا الاشتراكي .

وان نفسر لهـم ان الجوانب السلبيــة للنجاحات الاقتصادية والتي هي الرضى بالنفس ، والتهاون ، وثلم الحدس السياسي ، لا يمكن ان تصفى الا اذا اضيفت الى النجاحات الأقتصادية نجاحات في بناء الحزب ، وفي عمل سياسي واسع يقوم بـه الحزب .

يجب ان نفسر لهـم ان النجاحات الاقتصادية نفسهـا ،

ومتانتها ، ودوامها انما تتعلق كلها وبدون أي استثناء بنجاحات العمل التنظيمي والعمل السياسي للحزب، وانه في حال فقدان هذه الشروط تكون النجاحات الاقتصادية مبنية على الرمل .

٤ـ يجب ان نذكر دوما، والا ننسى ابدا ، ان الطوق الراسمالي هو الامر ألجوهري الذي يحدد الوضع الدولي للاتحاد السوفياتي.

يجب ان نذكر دوما ، والا ننسى ابدا ، انه مادام الطوق الراسمالي موجوداً ، فان المخربين ، وعملاء التضليل، والجواسيس، والأرهابيين الموفدين خلسة الى الاتحاد السوفياتي من قبل مكاتب الجاسوسية في الدول الاجنبية يظلون موجودين : يجب ان نذكر ذلك وان نقود النضال ضد الرفاق الذين يحطون من اهمية الطوق الراسمالي والذين يحطون من قيمة قوى التخريب واهميتها.

يجب ان نشرح لرفاقنا في الحزب انه لا توجد نجاحات اقتصادية تستطيع ، مهما كانت عظيمة ، ان ترجيء واقع الطوق الراسمالي والنتائج الناجمة عنه .

يجب ان نطبق التدابير الضرورية لكي يتمكن رفاقنا البولشفيون ، الاعضاء في الحزب وغير الاعضاء، من معرفة الاهداف والمهام للقيام بأعمال التخريب والتجسس والتضليل الذي تقوم به دوائر الجاسوسية الاجنبية .

٥ ـ يجب ان نشرح لرفاقنا في الحزب ان التروتسكيين الذين يشكلون العناصر الفعالة في اعمال التخريب والتضليل والتجسس في دوائر الجاسوسية الاجنبية قد انقطعوا ، منذ عهد طويل ، عن ان يكونوا تيارا سياسيا في ضمن الطبقة العاملة ؛ وانهم

قد انقطعوا ، منذ عهد طويل ، عن ان يخدموا اية فكرة من الفكر تتلاءم مع مصالح الطبقة العاملة ، وانهم اصبحوا عصابة ، لا مبادىء لها ولا فكر ، تضم المخربين وعملاء التضليل والجواسيس والقتلة لحساب دوائر التجسس الاجنبية .

يجب أن نشرح لهم ان مايتوجب عليهم الآن ، في النضال ضد النزعة التروتسكية ، ليس استخدام الطرق القديمة في الجدل فقط وانما الطرق الحديثة التي تقوم على ابادة الاعداء والاطاحة بهم .

٦ ـ يجب أن نشرح لرفاقنا في الحزب الفارق بين المخربين الحاليين ، ومخربي عهد قضية شاختي ، وان نشرح لهم انه اذا كان مخربو عهد شاختي يخدعون رجالنا في الحقل الفني مستغلين تخلفهم الفني ، فان المخربين الحاليين ، بامتلاكهم بطاقة الحزب ، يخدعون رجالنا بالثقة السياسية التي منحت لهم باعتبارهم اعضاء في الحزب ، مستغلين التهاون السياسي عند رجالنا .

يجب أن نكمل الشعار القديم حول تمثل الفن الصناعي،ذلك الشعار الذي كان يتلاءم وعهد شاختي ، بشعار جديد حول التربية السياسية للملاكات وحول تمثل المذهب البولشفي وتصفية التبعية السياسية التي نتصف بها ، شعار يلائم العصر الذي نعيش فيه تماما .

ويمكن أن نتساءل : الم يكن في وسعنا ، منذ عشر سنوات، اي في عهد شاختي ، أن نصوغ الشعارين دفعة واحدة : الاول حول تمثل الفن الصناعي ، والثاني حول التربية السياسية للملاكات ؟ لا ، لم يكن ذلك ممكنا . وليست تجري الامور على هذا النحو في

حزبنا البولشفي . ففي الاوقات التي تقوم فيها الحركة الثورية بانعطاف صيغ شعار جوهري ، شعار نتمكن بفضله من جر السلسلة بكاملها الى جانبنا .

وهاكم ماعلمنا اياه لينين حين قال: «أوجدوا الحلقة الجوهرية في سلسلة عملنا ، أمسكوا بها ، وجروها ، لكي تستطيعوا بفضلها جر السلسلة كلها الى جانبكم والمشي قدما الى الأمام » . ويظهر تاريخ الحركة الثورية ان هذه الخطة (التكتيك) هي الخطة السليمة وحدها . ففي عصر شاختي كان ضعف رجالنا كامنا في تخلفهم الفني ، ولم تكن القضايا السياسية حينذاك نقطة الضعف فينا بل كانت القضايا الفنية . اما بالنسبة لموقفنا السياسي تجاه المخربين في هذا الوقت فانه تام الوضوح : موقف بولشفيين تجاه رجال سياسيين اجانب ، وقد تمكنا من تصفية ذلك الضعف الفني بصياغة الشعار المتعلق بتمثل الفن الصناعي وبتربيتنا ، خلال ذلك الزمن المنصرم ، عشرات الالوف ومئات الالوف من البولشفيين المدربين خير تدريب .والامر على خلاف ذلك الآن اذ اننا نملك ملاكات بولشفية مدربة تدريباً جيداً ، واذ أن الدور الذي يقوم به المخربون لم يوكل الى جماعة من الاجانب المعروفين صراحة ،لكنه أوكل الى جماعة من الناس ليس لديهم أي سبق فني على رجالنا، انه موكل الى رجال يحملون بطاقة الحزب ويتمتعون بجميع الحقوق التي تخص اعضاء الحزب .

فليس ضعف رجالنا ناشئا اليوم عن تخلفهم الفني ، لكنه ناشيء عن تهاونهم السياسي ، وثقتهم العمياء بأولئك الذين اتاحت لهم الفرصة الحصول على بطاقة الحزب ، وفقدان الرقابة على الرجال ، ليس بالنسبة لتصريحاتهم السياسية ، ولكن بالنسبة

لنتائج أعمالهم . أما الآن فالقضية الحاسمة عندنا ليست تصفية التخلف الفني في ملاكاتنا اذ أن هذا التخلف موجود في الاصل ، ولكنه تصفية الأهمال السياسي والتبعية السياسية تجاه المخربين الذين اتاحت لهم فرصة من الفرص امتلاك بطاقة الحزب .

هذا هو الفارق الجوهري بين قضية النضال الحاسم من اجل الملاكات في عصر شاختي والقضية الحاسمة في عصرنا هذا. وهذا هو السبب الذي كان يجعلنا منذ عشر سنوات ، لانستطيع ولايتحتم علينا ، ان نقذف سوية بالشعارين : شعار تمثل الفن الصناعي وشعار التربية السياسية للملاكات ، وهذا هو السبب الذي يجعل من الضروري الآن ان نتم شعار التمثل الفني القديم بشعار جديد عن تمثل البولشفيةوعن تربيةالملاكات تربيةسياسية، وعن تصفية تهاوننا السياسي .

٧ – ينبغي أن نحطم ، أو نطرح جانبا ، النظريةالفاسدة التي ترى اننا كلما تقدمنا خطوة الى الأمام وجب،كما تزعم هذهالنظرية، أن يتلاشى نضال الطبقات شيئا فشيئا ، واننا كلما ازددنا نجاحا كلما أصبح العدو انيسا شيئا فشيئا .

ليست هذه النظرية فاسدة فقط ، بل انها نظرية خطرة لانها تخدر رجالنا ، وتوقعهم في الشراك ، وتساعد عدو طبقتنا على استعادة قواه والنضال ضد سلطة السوفياتيين .

وعلى العكس من ذلك ، فاننا كلما تقدمنا كلما احرزنانجاحات وكلما ازداد حنق بقايا الطبقات المستثمرة الهالكة وعظم اعتمادها على أشكال النضال الحادة ، وسببت الخراب للدولة السوفياتية،

وتعلقت بأساليب النضال اليائسة ، كما يفعل الرجال الذين كتب عليهم الهلاك حين يقومون بانتفاضة أخيرة .

يجب الا يغرب عن بالنا ابدا ان بقايا الطبقات المندحرة في الاتحاد السوفياتي ليست منعزلة . انها تتمتع بسند مباشر من أعدائنا ، خارج حدود الأتحاد السوفياتي ، وسيكون من الضلال الاعتقاد بان منطقة نضال الطبقات تنحصر في داخل أراضي الاتحاد السوفياتي. فاذا كان جناح من نضال الطبقات يدور ضمن اطار الإتحاد السوفياتي ، فان جناحه الآخر يمتد حتى حدود الدول البورجوازية التي تحف بنا ، وبقايا الطبقات المندحرة لاتجهل ذلك . ولذا فانها ستتابع هجماتها اليائسة في المستقبل بسبب معرفتها لهذا الامر تماما .

هذا مايعلمنا اياه التاريخ . وهذا مايعلمنا اياه المذهب اللينيني.

فيجب أن نذكر ذلك ، وان نكون على اتم الأهبة .

٨ — ينبغي أن نحطم ، ونطرح جانبا ، نظرية اخرى فاسدة ترى انه لايمكن أن يكون مخربا ذاك الذي لايشترك في أعمال التخريب غالبا والذي يظهر بعض النجاح في عمله ، ولو كان من وقت لآخر.

هذه النظرية الفاسدة تفضح سذاجة مخترعيها. فليس هناك مخرب يفكر بالتخريب بشكل دائم اذا لم يكن يريد أن يكشف أمره بسرعة. بل على العكس من ذلك ، ان المخرب الحقيقي ينبغي عليه أن يظهر نجاحا في عمله ، من وقت لآخر ، وهذا عنده الوسيلة

الوحيدة للمحافظة على وضعه كمخرب ، ولكسب ثقة الناس، ولمواصلة عمله التخريبي.

انني اعتقد ان هذه المسألة واضحة ولا تعوزها الشروح الثانوية .

٩ ـ ينبغي ان نحطم ، ونطرح جانبا ، النظرية الفاسدة الثالثة التي ترى أن التنفيذ التدريجي للمشاريع الاقتصادية سيقضي على التخريب ونتائجه .

ان نظرية مثل هذه النظرية ليس لها الا هدف واحد هو : دغدغة حب الذات المكتبية « البيروقراطية » لدى رؤساء الدوائر عندنا ، دغدغة خفيفة ، وتهدئتهم ، واضعاف نضالهم ضد التخريب.

ماذا يعني « التنفيذ التدريجي للمشاريع الأقتصادية » ؟

اولا ـ لقد برهنا أن جميع مشاريعنا الاقتصادية قد اصبحت في مرتبة متأخرة لانها لاتهتم بالاحتياطات والأمكانيات الواسعة التي يحتفظ بها اقتصادنا الوطني .

ثانيا ـ لايعني تنفيذ المشاريع الاقتصادية الأجمالي وبمجموعه من قبل مفوضيات الشعب ابدا ان هذه المشاريع قد نفذت من قبل بعض الفروع الهامة جدا . بل بالعكس فقد اثبتت الوقائع أن مجموع مفوضيات الشعب التي اتمت ، او حتى اجتازت ، هذه المشاريع الاقتصادية السنوية ، بصورة تدريجية لاتنفذ مشاريع بعض الفروع الهامة جدا من الاقتصاد الوطني.

ثالثا ـ لأيمكن ان نشك في انه اذا لم تنزع اقنعة المخربين ،

ويطرحون خارجا فان الامور ستزداد سوءا وخاصة فيما يتعلق بتنفيذ المشاريع الاقتصادية ، وهذا مايجب أن يذكره دوما قصيرو النظر الذين اخترعوا هذه النظرية التي نحن بصدد تحليلها.

رابعا - يختار المخربون عادة ، للقيام بعملهم التخريبي الرئيسي ليس السلم بل عشية الحرب او زمن الحرب نفسه . ولنقبل اننا كنا نعلل أنفسنا بالنظرية الفاسدة التي تدور حول «التنفيذ التدريجي للمشاريع الاقتصادية » واننا لم نتعرض للمخربين . هل يتصور اصحاب هذه النظرية الفاسدة الخطأ الجسيم الذي سيرتكبه المخربون في دولتنا في حالة الحرب اذا تركناهم في قلب اقتصادنا الوطني ، في ظلال نظرية « التنفيذ التدريجي للمشاريع الأقتصادية» الفاسدة ؟

أليس واضحا ان نظرية « التنفيذ التدريجي للمشاريع الاقتصادية » هي نظرية رابحة بالنسبة للمخربين ؟

١٠ - يجب أن نحطم ، ونطرح جانبا ، النظرية الرابعة الفاسدة التي ترى ان الحركة الستاخانوفية ستكون الوسيلة الجوهرية لتصفية التخريب .

اخترعت هذه النظرية لكي تتمكن ، بالتشدق المتواصل عن الستاخانوفية والحركة الستاخانوفية ، أن تحرف الضربات المسددة الى المخربين .

لقد ذكر لنا مولوتوف في تقريره جملة من الوقائع التي تثبت ان المخربين التروتسكيين وغير التروتسكيين التابعين لحوض كوزينتسك وحوض الدونيتز ، بإساءتهم لأستخدام ثقة رفاقنا

المصابين بالتهاون السياسي ، قد جروا الستاخانوفيين من انوفهم، ووضعوا العراقيل امامهم ، وخلقوا صعوبات صعبة قذفوا بها امـام نجاح عملهم ، وتوصلوا اخيرا الى أن يبعثوا الفوضى في عملهم.

ماذا يستطيع الستاخانوفيون ان يعملوا لوحدهم اذا كـان التخريب في سير الاعمال الكبيرة ، في حوض الدونيتز مثلا ؛ قد سبب انقطاعا بين الاعمال التمهيدية لاستخراج الفحم ، تلك الاعمال التي ينقصها النظام ، وبين جميع الاعمال الاخرى؟ أليس من الواضح أن الحركة الستاخانوفية نفسها تحتاج الى مساعدة حقيقية نقدمها لها ، ضد جميع دسائس المخربين ، لكي نجعل الامور تتقدم الى الامام ، ولكي تكمل مهمتها الكبرى ؟ أليس من الواضح أن النضال ضد التخريـب ، النضال لتصفية التخريب ، وللقضـاء علـى التخريب ، هو الشرط الضروري لكي تستطيع الحركة الستاخانوفية أن تأخذ مجراها الواسع ؟

واعتقد أن هذه المسألة واضحة أيضا وليسـت بحاجة الى شروح متممة .

١١ – يجب ان نحطم ، ونطرح جانبا ، النظرية الفاسـدة الخامسة التي ترى أن المخربين التروتسكيين لن يكون عندهم احتياطي ، وانهم ينتهون الى افناء جميع ملاكاتهم .

وهذا خطأ . والرجال السذج وحدهم هم الذين يستطيعون اختلاق مثل هذه النظرية . ان المخربين التروتسـكيين يملكـون احتياطيا . وهذا الاحتياطي يتشكل من بقايـا الطبقـات المستثمرة (بكسر الميم) المحطمة في الاتحاد السوفياتي ، في بـادىء الامر ،

ويتشكل من زمرة من الجماعات والمنظمات ، فيما وراء حدود الاتحاد السوفياتي والمعادية للاتحاد السوفياتي من جهة ثانية .

لنأخذ مثلا الامية الرابعة ، التروتسكية المناهضة للثورة، التي يشكل ثلثيها الجواسيس وعملاء التضليل . اليس ذلك احتياطيا ؟ اليس واضحا أن هذه الاممية من الجواسيس ستشكل ملاكات للقيام بأعمال التجسس والتخريب من جانب التروتسكيين؟

او لنأخذ مثلا آخر جماعة المحتال شيفلو في النروج الذي آوى عنده أستاذ الجواسيس تروتسكي وساعده على الاضرار بالأتحاد السوفياتي. هذه الجماعة اليست احتياطيا ؟ ومن ذا الذي يستطيع أن ينكر ان هذه الجماعة المناهضة للثورة ستواصل ، كما في الماضي، خدمة الجواسيس والمخربين التروتسكيين .

او لنأخذ مثلا جماعة اخرى ، جماعة محتال ذي صفات كصفات شيفلو ، جماعة سوفارين في فرنسا . اليس ذلك احتياطيا ؟

هل نستطيع أن ننكر أن هذا الفريق من المحتالين سيساعد التروتسكيين أيضا في نشاطهم في الجاسوسية والتخريب ضد الاتحاد السوفياتي ؟

وجميع اولئك السادة الالمان ، من اتباع روث فشير، وماسلوف، وأوربانس الذين باعوا اجسامهم وأرواحهم للفاشيين اليسوا احتياطيا للعمل التروتسكي في التجسس والتخريب ؟
أو مثلا تلك العصبة الشهيرة من كتاب اميركا المعروفين جيدا

وعلى راسهم اننذل الشهير ايستمان ، جميع لصوص القلم هؤلاء الذين لايعيشون الا في طعن الطبقة العاملة في الاتحاد السوفياتي، الا يشكلون احتياطيا للتروتسكية ؟

نعم يجب ان نطرح بعيدا عنا النظرية الفاسدة التي تزعم ان التروتسكيين سينتهي بهم الامر الى افناء ملاكاتهم الاخيرة.

١٢ ـ واخيرا ينبغي ان نحطم ، وان نطرح جانبا ، نظرية اخرى فاسدة تزعم اننا ، نحن البولشفيين ، كثير عديدنا وان المخربين قليلون ؛ واننا نحن البولشفيين تدعمنا عشرات الملايين من الرجال بينما لايدعم التروتسكيين المخربين الا وحدات او عشرات ، واننا نحن البولشفيين سيكون في وسعنا الا نوجه اهتمامنا الى حفنة شقية من المخربين .

هذا خطأ ايها الرفاق ، ان هذه النظرية ، بالاضافة الى كونها غريبة ، قد اخترعت لتعزي اولئك الرفاق قادتنا الذين جعلهم عجزهم عن القضاء على التخريب يخفقون في عملهم ، واخترعت لتشل من يقظتهم ، ولتسمح لهم أن يناموا هادئين .

ولنقبل أن المخربين التروتسكيين تدعمهم وحدات بينما تدعم البولشفيين عشرات من ملايين الرجال . وهذا صحيح بطبيعة الحال. لكن لاينجم عنه أن المخربين لايتمكنون من احداث الضرر الكبير في عملنا ، فللقيام بالشرور وللتخريب ليس هناك من حاجة الى عدد كبير من الرجال . اننا نحتاج لكي نقوم بمشروع على نهر الدينيبر الى عشرات الألوف من العمال اما لنسفه فقد لانحتاج الا الى عشرات من الرجال ليس غير ، وان كسب معركة في الحرب

يمكن أن يتطلب عدة قطعات من الجيش الاحمر . اما لمنع هـذا النصر ، على الجبهة ، فيكفي بعض الجواسيس في هيئة الأركان العامة في الجيش ، وحتى في هيئة الاركان في الفرقة ، الذين يتمكنون من سرقة مخطط العمليات ونقلها الى العدو . ونحن نحتاج ، من أجل بناء جسر لخط حديدي ، الى الوف الرجال الا انه يكفينا بعض الرجال فقط لنسفه .

وهكذا فاننا نستطيع أن نسرد عشرات ومئات من هذه الامثلة .

والخلاصة انه لاينبغي أن نعزي انفسنا بالفكرة التي تقول اننا كثيرون بينما عددهم ، عدد المخربين التروتسكيين ، قليل .

يجب أن نعمل بشكل نتمكن فيه من التخلص تماما من المخربين التروتسكيين في صفوفنا .

وعلى هذا الشكل تطرح مسألة معرفة كيف نصفي مساوىء عملنا ، هذه المساوىء العامة في جميع منظماتنا الاقتصادية والدولة والادارة والحزب على حد سواء .

وهذه هي التدابير التي يجب اتخاذها لتصفية مساوئنا .

فيما يتعلق بمنظمات الحزب ومساوىء أعمالها خاصة ، تكلمنا بما فيه الكفاية على التدابير التي يجب اتخاذها لتصفية هـذه المساوىء في مشروع القرار المقدم لكم لدراسته . ولذا فانا اعتقد انه ليس من الضروري الالحاح على هذا الجانب من المسألة .

انما أود أن اقول لكم بعض الكلمات فقط عن تحضير ملاكاتنا الحزبية تحضيرا سياسيا وعن كيفية جعلها كاملة .

وانا ارى اننا لو نستطيع ، لو نعرف ، تهيئة ملاكاتنا فـي الحزب تهيئة فكرية (أيديولوجية) ، وتعويدها على النضال السياسي ،

من القاعدة حتى القمة ، بغية جعلها قادرة على السير بسهولة في الوضع الداخلي والدولي ، ولو أننا نعرف كيف نجعل من أفرادها لينينيين ماركسيين ذوي نضج كامل شامل قادرين على حــل معضلات التوجيه في البلاد دون الوقوع في أخطار جسيمة ، فاننا نحل بذلك تسعة أعشار جميع مهماتنا .

كيف ترى الملاكات الموجهة في الحزب الاشياء ؟

يضم حزبنا من ٣ ـ ٤ آلاف قائد رفيع اذا ما اعتبرنا فئاته الموجهة وانني أقول أن هذه هي القيادة العليا في حزبنا .

ثم يأتي ٣٠ــ٤٠ الف قائد متوسط . وهؤلاء هم ملاكاتنامن ضباط الحزب.

ثم يأتي جهاز كبير من القيادة الدنيا للحزب ، اي مايقارب ١٠٠ــ١٥٠ ألف وهؤلاء هم ، كما يقال ، ضباط الحزب.

وان رفع المستوى الفكري (الأيديولوجي) والتحضير السياسي لهذه الملاكات في القيادة ، وبعث القوى الجديدة التي تنتظر تخرجها في هذه الملاكات ، وتوسيع جهاز الملاكات الموجهة في الحزب ، تلك هي مهمتنا .

ماذا يلزم من أجل هذا ؟

يلزمنا، في بادىء الامر ، أن ندعو قادتنا في الحزب ، مــن أمناء سر الخلايا حتى أمناء سر منظمات المناطق والجمهوريات،لايجاد رجلين مناضلين من مناضلي الحزب قادرين على أن يحلا محــل

القيادة حقا وذلك في فترة محدودة ، ورب قائل يقول : ولكن أين نجد وريثين لكل واحد منا ونحن ليس لدينا مثل هؤلاء الرجال وليس لدينا مناضلون اخصائيون ؟ هذا خطأ. فنحن نملك من الرجال القادرين ، الرجال الموهوبين ، عشرات الالوف ، انما ينبغي أن نعرف كيف نكتشفهم ونرفع من شأنهم في الوقت المطلوب لكي لايفسدوا في أمكنتهم ويعودوا الى خلق بذور فاسدة من جديد.

فتشوا تجدوا ..

ثم يلزمنا ، من اجل تربية الحزب ومن اجل جعل امناء سر الخلايا كاملين ، ان نوجد في مركز كل منطقة دروسا للحزب تشمل اربعة اشهر دراسية . وينبغي أن نرسل الى هذه الدروس أمناء سر جميع المنظمات الابتدائية في الحزب (الخلايا) . ثم ينبغي ان نرسل ، بعد أن ينتهي هؤلاء من الدروس ويعودوا الى مراكزهم ، ورثتهم وأكبر الاعضاء قدرة في المنظمات الأبتدائية التابعة للحزب.

ثم ينبغي في سبيل جعل أمناء السر الاولين في منظمات الملحقات كاملين ، أن نخلق ، في الاتحاد السوفياتي ، وليكن في عشر مراكز رئيسية ، دروسا لينينية مدتها ثمانية أشهر . وينبغي أن نرسل ، الى هذه الدروس ، الامناء الاولين لمنظمات الملحقات والدوائر في الحزب ، وحين ينهون دراستهم ويرجعون الى مراكزهم نرسل ، الى هذه الدروس ، ورثتهم واكبر الأعضاء قدرة في منظمات الملحقات والدوائر .

واخيرا ينبغي أن نخلق ، بالقرب من اللجنة المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي ، **مؤتمرا مدته ستة اشهر لبحث**

القضايا السياسية الداخلية والعالمية . ونرسل اليه الامناء الاولين لمنظمات المناطق والاقاليم واللجان المركزية للاحزاب الشيوعية الوطنية . وعلى هؤلاء الرفاق أن يجهزوا ، ليس فريقا واحدا ، بل عدة فرق قادرة على أن تحل محل قادة اللجنة المركزية لحزبنا. هذا الأمر لابد منه ويجب أن يعمل به .

واختم كلامي قائلا :

لقد عرضنا مساوىء عملنا الجوهرية ، المساوىء العامة بالنسبة لكافة منظماتنا الاقتصادية والادارية والحزبية والمساوىء الخاصة بمنظمات الحزب وحده ، المساوىء التي يستلفها أعداء الطبقة العاملة لصالح عملهم في التخريب والتضليل والتجسس والارهاب .

ثم قدمنا بعد ذلك التدابير الجوهرية الضرورية من أجل تصفية هذه المساوىء واحباط مساعي المضللين والمخربين والجواسيس والارهابيين عملاء التروتسكيين والفاشيين الذين يعملون لحساب الجاسوسية الاجنبية .

وهنا يطرح أمامنا هذا السؤال : هل نستطيع تحقيق جميع هذه التدابير ، هل لدينا ، من أجل ذلك ، كل الأمكانيات الضرورية؟

نعم اننا نستطيع ذلك بكل تأكيد . اننا نستطيع ذلك لان جميع الوسائل الضرورية لتنفيذ هذه التدابير هي بين ايدينا .

ما الذي ينقصنا اذن ؟

لاينقصنا سوى شيء واحد هو : أن نكون على اســتعداد لتصفية تهاوننا الخاص بنا ، وضعف بصرنا السياسي الخاص بنا.

وهنا تكمن الصعوبة .

ولكن هل يمكن حقا أن نكون جاهلين للطريقة التي يجب ان نتخلص بها من هذا الداء التافه الاحمق، نحن الذين قلبنا الرأسمالية رأسا على عقب ، نحن الذين بنينا الاشتراكية في جوهرها ، والذين رفعنا العلم الكبير للشيوعية العالمية ؟

ليس لدينا المبررات التي تجعلنا نشك في اننا سنتخلص من هذا الداء مؤكدا اذا كانت لدينا الارادة طبعا ، ولن نتخلص منهـا فقط بل اننا ، كبولشفيين ، سنمضي نحو الأحسن .

وحين نتخلص من هذا الداء الاحمق ، سنستطيع حينئذ أن نقول ونحن واثقون بأنفسنا تماما انه ليس هناك أعداء يبعثـون الخوف في قلوبنا ، سواء أعداء الداخل أو اعداء الخارج ، وأن دسائسهم لا تخيفنا لاننا سنحطمها في المستقبل كما نحطمها اليوم وكما حطمناها في الماضي.

□ □ □

خطاب اختتام المناقشة

(٥ آذار ١٩٣٧)

عرضت في تقريري النقاط الاساسية للمعضلة المطروحة . وقد اظهرت المناقشات ان المسألة في غاية الوضوح الآن ، واننا فاهمون للمهمات التي ينبغي أن نقوم بها وللارادة في تصفية المساوىء في عملنا . الا أن المناقشات اظهرت كذلك أنه توجد بعض المسائل المشخصة عن عملنا التطبيقي ، والسياسي ، والتنظيمي لم نفهمها فهما واضحا . وهذه المسائل يمكن جمعها في سبعة .

اسمحوا لي أن اقول بعض الكلمات حول هذه المسائل:

١ ـ يجب ان نؤمن الآن أن الجميع قد فهموا ، قد ادركوا، أن الافراط في الاعجاب بالحملات الاقتصادية والنجاحات الاقتصادية في الوقت الذي تكون فيه المسائل السياسية في الحزب ذات قيمة دنيا ، ومهملة ، يجرنا الى مأزق حرج.

انه لمن الضروري اذن أن نوجه انتباه المناضلين نحو مسائل الحزب بشكل ترتبط فيه النجاحات الاقتصادية بنجاحات العمل السياسي وتسير جنبا الى جنب معها .

كيف نحقق عمليا المهمة التي تقوم في تقوية العمل السياسي في الحزب ، المهمة التي تقوم في تحرير منظمات الحزب من الأعمال الاقتصادية الصغيرة ؟ اظهرت المناقشات أن بعض الرفاق اخذوا

يميلون الى استخلاص استنتاج خاطىء منها ،مفاده أنه يجب أن نترك العمل الاقتصادي تماما الان . أو أنه قد سمعت اصوات تقول على الاقل : أخيرا ، وبفضل الله ، سنتخلص من المشكلات الاقتصادية ، وسنتمكن ، منذ الآن ، من الاهتمام بالاعمال السياسية للحزب . هل هذا الاستنتاج صحيح ، لا ، انه استنتاج خاطىء . عندما كان رفاقنا في الحزب، رفاقنا المأخوذون بالنجاحات الاقتصادية، يهملون السياسة ، كنا نرى في ذلك العمل مبالغة كلفتنا تضحيات كبيرة ـ واذا فكر اليوم بعض رفاقنا ، الحريصين على تقوية العمل السياسي في الحزب ، في اهمال العمل الاقتصادي فان ذلك يكون مبالغة أخرى لاتكلفنا تضحيات أقل من تلك التضحيات . ونحن لانستطيع ان نلقي بانفسنا من مبالغة الى مبالغة . ولايمكن أن نفصل السياسة عن الاقتصاد . وليس بوسعنا أن نهمل الاقتصاد ، كما انه ليس بوسعنا أن نهمل السياسة . ولكن الناس يقومون عادة بفصل مسائل الاقتصاد عن مسائل فصل السياسة فصلا منهجيا وذلك بغية تسهيل الدراسة فقط . الا أن هذا الامر لايتم الامنهجيا، صنعيا لتسهيل الدراسة فقط . أما في الحياة ، فالامر على العكس، اذ لايمكن عمليا فصل السياسة عن الاقتصاد . فهما يوجدان سوية ويعملان سوية . وان من يفكر ، في عملنا السياسي ، بفصل الاقتصاد عن السياسة ، وبتقوية العمل الاقتصادي بتقليل أهمية العمل السياسي أو بالمقابل ، بتقوية العمل السياسي بتقليل أهمية العمل الاقتصادي ، ان من يفكر بذلك يكون بالضرورة واقعا في مأزق .

ان معنى الفقرة التي نعرفها من مشروع القرار حول تحرير منظمات الحزب من اعمال الاقتصاد الصغيرة وتقوية العمل السياسي للحزب لاتكون في اهمال العمل الاقتصادي وادارة الاقتصاد

ولكن ، بكل سهولة ، تكون في عدم التساهل ، في التطبيق العملي، في استبدال الاجهزة الاقتصادية وطرح شخصياتها ، بما في ذلك الاجهزة الزراعية خاصة ، بمنظماتنا الحزبية ، وانه لمن الضروري اذن أن نتمثل طريقة الادارة البولشفية للاجهزة الاقتصادية ، تلك الطريقة التي تقوم على مساعدة هذه الاجهزة مساعدة تدريجية ، وفي توجيه الاقتصاد ، ليس خارج هذه الاجهزة ولكن بوساطتها . يجب أن نقدم للاجهزة الاقتصادية ، وللاجهزة الزراعية قبل كل شيء ، افضل الرجال ، ويجب أن نكمل هذه الاجهزة بمناضلين جدد منتخبين انتخابا وقادرين على تنفيذ المهمات التي يطلب اليهم القيام بها . وبعد القيام بهذا العمل وحده يمكن اعتبار منظمات الحزب متحررة تمام التحرر من مسائل الاقتصاد الصغيرة . ويلاحظ أن هذا امر جدي يتطلب وقتا . ولكن مادمنا لم نقم بهذا العمل فان على منظمات الحزب أن تستمر ، لفترة معينة قصيرة، في الاهتمام ، عن كثب ، بأمور الزراعة في جميع أقسامها من: حراثة، وبذار ، وحصاد ، الخ ..،

٢ ـ وكلمتان حول المخربين ، وعملاء التضليل ، والجواسيس الخ .. انه لمن الواضح الآن تماما لدى الجميع ، كما اظن ، أن المخربين الحاليين ، وعملاء التضليل ، مهما كانت الراية التي ينضوون تحتها ، تروتسكية أم بوخارينية ، قد كفوا ، منذ عهد طويل ، عن أن يشكلوا تيارا سياسيا في ضمن الحركة العاملة ، وانهم تحولوا الى عصابة ، لامبادىء لها ولا فكر ، تضم المخربين، وعملاء التضليل ، والجواسيس ، والقتلة المحترفين . واننا ندرك أن علينا ان نسحق هؤلاء السادة ، وان نجتث جذورهم دون اي شفقة ، باعتبارهم اعداء للطبقة العاملة وخونة لوطننا . هذا امر صريح لايحتاج الى اي تفسيرات اخرى مكملة .

ولكن ، اليكم هذا السؤال : كيف نكمل عمليا هذه المهمة في سحق عملاء اليابانيين والالمان من التروتسكيين وفي اقتلاع أصولهم؟ هل يعني هذا انه يجب ضرب ــ واقتلاع ــ ليس فقط التروتسكيين الحقيقيين ، بل ايضا أولئك الذين كانوا في الماضي ، يترجحون في الاتجاه نحو التروتسكية والذين تركوا التروتسكية منذعهدطويل، ليس فقط اولئك الذين هم حقا العملاء التروتسكيون للتخريب ، ولكن اولئك الذين صدف أن مروا سابقا في الطريق التي مر بهـا هذا او ذاك من التروتسكيين ؟ لقد رددت أصوات شيئا من هذا في الهيئة العامة ، على الاقل . هل يمكن أن نعتبر تفسير القـرار على هذا الشكل تفسيرا صحيحا ؟ لا ، لايمكن ان نعتبره صحيحا. ففي هذه المسألة، كما في غيرها من المسائل الاخرى ، ينبغي في الحكم على رجل من الرجال ، أن ننتبه الى الاساس الفردي الفوقي ، اذ لايمكن أن نضع الناس جميعا في مستوى واحد . وهذه الطريقة التبسيطية للحكم على الرجال لايمكن الا أن تضر بالنضال القائم ضد المخربين الحقيقيين والجواسيس التروتسكيين .

يوجد بين رفاقنا المسؤولين عدد من قدماء التروتسكيين الذين تركوا المذهب التروتسكي منذ عهد طويل ، لقد تركوا المذهـــب التروتسكي وهم يقودون النضال ضده بشكل سيء جدا الا انهم أحسن من بعض رفاقنا الشرفاء الذين لم تتح لهم الفرصة أن يترجحوا نحو المذهب التروتسكي . وانه لمن الخرق الآن ان نعتبر هـؤلاء الرفاق رجالا سيئين .

ويوجد بين رفاقنا ايضا من صـــلب عودهم نظريا ، ضـــد المذهب التروتسكي ، الا أن لهم ، مع ذلك ، علاقات شخصيـــة مع بعض التروتسكيين ، علاقات لم يتوانوا عن قطعها حين فهموا

أن هذه هي سحنة المذهب التروتسكي في التطبيق العملي . وان عدم قطعهم علاقاتهم الشخصية مع بعض التروتسكيين من أول مرة، بل في وقت متأخر ، لأمر يستدعي الاسف . الا أنه من الخرق أن نقذف بهؤلاء الرفاق في المكان نفسه الذي نقذف فيه التروتسكيين.

٣ ـ ماذا يعني : اختيار المناضلين اختيارا حسنا وتوزيع العمل عليهم توزيعا حسنا ؟

ان هذا يعني اولا : اختيار المناضلين حسب الدلالة السياسية، اي رؤية فيما اذا كانوا يستحقون الثقة السياسية ،وهو يعني ثانيا اختيارهم حسب الدلالة العملية اي رؤية فيما اذا كانوا يلائمون هذا العمل المشخص او ذاك .

وهو يعني : عدم تبديل طريقة الحكم الجدية بمذهب عملي ضيق ، وهذا يحدث حين نهتم بقدرات المناضلين لا بسحنتهم السياسية .

وهو يعني : عدم تبديل طريقة الحكم السياسية بالطريقة الوحيدة والفريدة في الحكم ، التي نصل اليها حين نهتم بسحنة المناضلين السياسية ولا نهتم بقدراتهم .

هل يمكن أن نقول ان هذه القاعدة البولشفية مطبقة من قبل رفاقنا في الحزب ؟ لانستطيع قول ذلك للاسف ، ومع ذلك فقد تحدث الناس عنها في الهيئة العامة . ولكن دون ان يذكروا كل شيء . والحقيقة أن هذه القاعدة المكتسبة بالخبرة قد خرقت دوما في تطبيقنا العملي ، وبصورة فظة أيضا . ففي اغلب الاوقات لايختار المناضلون حسب دلائل موضوعية ولكن حسب دلائل الصدفة والذاتية ، دلائل ضيقة صغيرة . ويختار في غالب الاوقات ، من

نسميهم المعارف ، والاصدقاء ، والمواطنين، والرجال المخلصين بصورة شخصية ، والماهرين في تملق رؤسائهم ، دون اعارة الاهتمام الى قدراتهم السياسية والعملية . ومن هنا نفهم أننا عوضا عن أن نحصل على جماعة موجهة من المناضلين المسؤولين نحصل على عائلة صغيرة من الرجال القريبين الى بعضهم بعضا ، رعيل يجهد أعضاؤه في العيش بسلام ، وفي عدم الوقوع في الخطأ تجاه بعضهم بعضا ، وفي غسل ثيابهم الوسخة بأنفسهم كأفراد العائلة تماما ، في مدح بعضهم بعضا ، وفي ارسال التقارير الفارغة من المعاني والمقرفة عن نجاحاتهم التي حققوها ، الى المركز ، من وقت لآخر .

وليس من الصعب ان نفهم انه لايمكن ، في هذا الجو العائلي، ان نجد مكانا لنقد مساوىء العمل ، ولا للانتقاد الذاتي ، عند اولئك الذين يوجهون العمل .

بل اننا لنفهم ان جوا مثل هذا الجو العائلي يخلق بيئة ملائمة (لمسح الجوخ) ولرجال عديمي الكرامة ليس لديهم اية رابطةعامة مع المذهب البولشفي .

لنأخذ مثلا ميرزويان وفاينوف . فالاول أمين سر المنظمة المنطقية للحزب في كازاكستان . والثاني امين سر المنظمة المنطقية في ياروسلاو . . هذان الرجلان ليسا أول من جاء الى وسطنا .نعم، ولكن كيف اختارا مساعديهم ؟ لقد جر الاول معه من آذربيجان والاورال ، حيث كان يشتغل سابقا ، الى كازاكستان ، ثلاثين أو اربعين من رجاله « هو » وأوكل اليهم مراكز هامة ذات مسؤوليةفي كازاكستان . وجر الثاني معه الى ياروسلاو ايضا ، من حوض الدونيتز ، الذي كان يعمل فيه سابقا ، اكثر من عشرة من رجاله « هو »

واسند اليهم كذلك مراكز هامة . وعلى هذا النحو اذن يكون ميرزويان مالكا لرعيله الخاص به . وكذلك فاينوف يملك رعيله الخاص به أيضا . الم يكن في الامكان حقا انتخاب مساعدين من بين رجال البلاد ، بالاستناد الى القاعدة البولشفية المعروفة عن الانتخاب وتلاؤم الرجال ؟ من البديهي ان الامر كان ممكنا . لكن لم لم يقم بذلك هذان الرجلان ؟ ذلك لان القاعدة البولشفية في انتخاب المناضلين تستبعد اتخاذ وجهة نظر ضيقة وحقيرة ، وتستبعد امكانية انتقاء المناضلين من الاقارب والرعيل . أو علاوة على ذلك فان هذين الرفيقين ، بانتقائهما المساعدين من بين الرجال المخلصين لهما شخصيا كانا يريدان ، كما يلاحظ ، أن يخلقا لنفسهما جوا من الاستقلال تجاه الناس وتجاه اللجنة المركزية للحزب على حد سواء .

لنفرض ان ميرزويان وفاينوف قد نقلا لسبب من الأسباب، من مقر عملهما الحالي الى مقر آخر ، فماذا ينبغي عليهما أن يفعلا، في هذه الحال ، مع « اتباعهما » ؟ هل سيأخذانهم معهما الى محل عملهما الجديد ؟

انظروا اذن الى اي حماقة يمكن ان يؤدي خرق القاعدة البولشفية في انتقاء المناضلين وتوزيعهم بشكل حسن .

٤ ـ مامعنى : مراقبة المناضلين والتأكد من تنفيذ المهمات؟

مراقبة المناضلين معناه مراقبتهم ليس تبعا لوعودهم وتصريحاتهم فقط بل لنتائج عملهم .

والتأكد من تنفيذ المهمات معناه التأكد منه ليس في المكاتب فقط ، وليس تبعا للتقارير الرسمية ، ولكن على أمكنة العمل ، قبل كل شيء ، وتبعا للنتائج الفعلية لهذا التنفيذ .

هل مثل هذا التأكد ضروري بصورة عامة ؟ نعم بدون شك . انه ضروري لان مثل هذا التأكد وحده هو الذي يسمح ، قبل كل شيء ، بمعرفة المناضل معرفة حسنة، وبالكشف عن ميزاته الحقيقية . وهو ضروري ، بعد ذلك ، لان مراقبة من هذا النوع هي التي تسمح بمعرفة الحسنات والمساوىء في جهاز التنفيذ . وهو ضروري أخيرا لان مراقبة من هذا النوع هي التي تسمح وحدها بمعرفة حسنات المهمات نفسها ومساوئها.

يعتقد بعض الرفاق انه لاتمكن مراقبة الناس الا من عل وذلك حين يراقب الموجهون الموجهين حسب نتائج عملهم . ان هذا خطأ ، فالمراقبة من عل ضرورية بدون شك باعتبارها أحد التدابير الفعلية التي تسمح بمراقبة الرجال والتأكد من تنفيذ المهمات . الا ان المراقبة من عل بعيدة عن أن تستنفذ كل عمل التحقيق ، لذا يوجد كذلك نوع آخر من المراقبة وهو المراقبة من القاعدة ، حين تراقب الجماهير ، حين يراقب الموجهون الموجهين ، ويشيرون الى اخطائهم ، ويذكرون وسيلة اصلاحها. هذا النوع من المراقبة هو احدى الوسائل الناجعة للتثبت من الرجال .

يراقب مجموع أعضاء الحزب قادتهم في أثناء الاجتماعات الايجابية ، وفي المحاضرات والمؤتمرات التي يستمعون فيها الى خلاصة عن نشاطهم ، وذلك بنقد المساوىء ، وأخيرا بانتخاب ، او عدم انتخاب ، هذا او ذاك من الرفاق الموجهين في اجهزة الادارة . ان مايتطلبه دستورنا هو التطبيق الدقيق للمركزية الديمقراطية في الحزب، وتشكيل اجهزة الحزب عن طريق الانتخاب قطعا وحق تقديم المرشحين وبطلانه ، والتصويت السري ، وحرية

النقد والانتقاد الذاتي ؛ كل هذه التدابير وتدابير أخرى مشابهة ، من الضروري وضعها موضع التطبيق لكي نتمكن ، بوساطتها ووساطة غيرها ، من تسهيل التحقيق عن موجهي الحزب ومراقبتهم من قبل جماهير اعضاء الحزب.

ان جماهير الناس غير الحزبيين يراقبون قادتهم الاقتصاديين والنقابيين وغيرهم في الاجتماعات الايجابية غير الحزبية ، ومؤتمرات الجماهير من أي نوع كانت حيث يستمعون الى خلاصات عن نشاط قادتهم وينقدون مساوئهم ويذكرون لهم الوسائل اللازمة لاصلاحها.

واخيرا يراقب الشعب قادة البلاد أثناء الانتخابات لأجهزة سلطة الاتحاد السوفياتي عن طريق التصويت العام والمتساوي والمباشر والسري .

وتنحصر مهمتنا هنا في الجمع بين المراقبة من عل والمراقبة من القاعدة .

٥ ــ مامعنى : تعليم الملاكات باختبار أخطائها الخاصة بها ؟

علمنا لينين أن كشف أخطاء الحزب عن قصد ، ودراسة الأسباب التي ولدت هذه الاخطاء ، ومواجهة التدابير اللازمة لاصلاح هذه الاخطاء ، هي احدى الوسائل المضمونة حقا ، اكثر من غيرها ، لتعليم وتربية سليمين للطبقة العاملة وللجماهير الشغيلة. يقول لينين :

« ان موقف حزب سياسي تجاه هذه الاخطاء انما هواكثر المعايير اهمية واضمنها للحكم على هذا الحزب بأنه جاد وبأنه يقوم حقا بواجباته تجاه طبقته وتجاه الجماهير الكادحة . فالاعتراف صدقا بالخطأ ، والكشف عن أسبابه ، وتحليل ظروفه التي ولدته،

والختبار الوسائل اللازمة لاصلاحه اختبارا دقيقا ، تلك هي علامة الحزب الجاد ، تلك هي ماتسمى ، عنده ، القيام بواجباته،وتربية طبقته وتعليمها ، وتربية الجماهير وتعليمها أخيرا . (لينين :كتاب مرض الطفولة في الشيوعية : النص الفرنسي ص ٣٣ . دور النشر الأجتماعية ـ باريس ١٩٤٦) .

وهذا يعني ان واجب البولشفيين لايكون في اخفاء اخطائهم وفي تجنب مناقشتها مناقشة صريحة ، كما يحدث غالبا عندنا ،ولكن بالاعتراف ، بكل شرف وصراحة ، بأخطائهم ، وبمواجهة التدابير الضرورية لاصلاح اخطائهم ، بكل شرف وصراحة ، وباصلاح اخطائهم ، بكل شرف وصراحة .

لن أقول ان كثيرا من رفاقنا يقبلون هذا العمل عن طيب خاطر . ولكن البولشفيين ، اذا ما أرادوا حقا أن يكونوابولشفيين، يجب عليهم أن يجدوا في أنفسهم الشجاعة الكافية للاعتراف صراحة بأخطائهم ، وللكشف عن أسبابها ، وللذكر وسيلة اصلاحها ومساعدة الحزب بذلك لاعطاء الملاكات التعليم الحقيقي والتربية السياسية الحقيقية . ذلك لأنه لايمكن تشكيل ملاكات بولشفية حقا ، ولايمكن تشكيل زعماء بولشفيين حقيقيين الا بهذا السبيل، والا بشروط الانتقاد الذاتي الصادق والشريف .

وهاكم مثلين يظهران صحة راي لينين :

لنأخذ مثلا اخطاءنا في بناء الكولخوزات . انكم تذكرون جيدا دون ريب عام ١٩٣٠ يوم كان رفاقنا في الحزب يفكرون بحل هذه المعضلة ، المعقدة تعقيدا بالغا ـ امرار طبقة الفلاحين في طريق بناء الكولخوزات ـ .

في خلال ثلاثة اشهر او اربعة ؛ وحين اضطرت اللجنة المركزية للحزب ان تعيد الرفاق الجامحين الى صوابهم ، وكان ذلك العهد اشد العهود خطرا على حياة حزبنا، وكان الخطأ يتلخص في أن رفاقنا في الحزب كانوا قد نسوا مبدأ الانضمام الحر الى بناء الكولخوزات، كانوا قد نسوا انه لم يكن في الامكان امرار الفلاحين في الطريق الكولخوزية ، بممارسة ضغط اداري عليهم ؛ كانوا قد نسوا أن بناء الكولخوزات كان يتطلب بالضرورة ، ليس فقط بضعة أشهر، ولكن عدة سنوات من العمل ، الدقيق والفكري ، انهم نسوا كل ذلك ، ولم يشاؤوا الاعتراف بأخطائهم . وانكم لتذكرون، دون ريب، ان تعليمات اللجنة المركزية المتعلقة بنشوة النجاح والقائله بأن رفاقنا في القاعدة ليس عليهم ان يتسرعوا وان يتجاهلوا الوضع الحقيقي ، ان هذه التعليمات قد قوبلت بثورة من المعارضة عنيفة . الا ان ذلك لم يمنع اللجنة المركزية من السير ضد التيار وتوجيه رفاقنا في الحزب الى الطريق السوية . وبعد ؟ لقد اتضح عند الجميع الآن ان الحزب قد حصل على ماكان يأمل فيه بتوجيه رفاقنا في الحزب الى الطريق السوية . وها نحن نملك اليوم ملاكات ممتازة تضم عشرات الالوف من الفلاحين لبناء الكولخوزات وادارتها. ولقد كبرت هذه الملاكات وتشكلت عن طريق اختبار الاخطاء عام ١٩٣٠ . وماكنا لنحصل على هذه الملاكات الآن لو أن الحزب لم يفهم ، في ذلك العهد اخطاءه ، ولم يصلحها في وقتها .

ومثل آخر نستعيره هذه المرة من حقل البناء الصناعي . واريد أن اتحدث عن اخطائنا في عصر شاختي التخريبي . كان خطؤنا يتركز في اننا لم ننتبه الى الخطر الذي يصيبنا من جراء

التأخر الفني لملاكاتنا الصناعية ؛ كنا نتكيف وهذا التأخر ، وكنا نظن أننا نستطيع تنمية بناء صناعي اشتراكي واسع بمعونة أخصائيين معادين لنا موجهين لملاكاتنا الاقتصادية مسندين ملاكاتنا الاقتصادية الى المفوضين السيئين ، هذا بالاضافة الى الاخصائيين البورجوازيين . وانكم لتذكرون دون ريب ، العذر السيء الذي قدمته ملاكاتنا الاقتصادية للاعتراف بأخطائها ، وللاعتراف بتأخرها الفني ، كما انكم تذكرون بأية صعوبة تمثلت الشعار : « يجب أن يصبح الانسان سيد الفن الصناعي » . وبعد ؟ تظهر الوقائع ان الشعار : « يجب أن يصبح الانسان سيد الفن الصناعي » قد سار سيرا حسنا واعطى نتائج طيبة ، ونحن نملك اليوم ملاكات ممتازة تضم عشرات الالوف ومئات الالوف من القادة البولشفيين في الصناعة الذين اصبحوا ، منذ الآن ، سادة الفن الصناعي ، وبعثوا التقدم في صناعتنا . الا أننا ماكنا لنحصل على هذه الملاكات الان لو ان الحزب تراجع امام قادة الصناعة الذين كانوا يرفضون الاعتراف بتأخرهم الفني ، ولو ان الحزب لم يدرك آنذاك أخطاءه ويصلحها في وقتها .

يقول بعض رفاقنا أننا نخطىء اذ نتكلم صراحة عن اخطائنا اذ قد يفسر اعترافنا الصريح بأخطائنا من قبل أعدائنا كعلامة على ضعفنا وان يستغلوه . انها سخافات ايها الرفاق ، وليس أكثر من ذلك ، اذ أن اعترافنا صراحة بأخطائنا واصلاحها بشرف لايمكن، على عكس مايقولون ، الا ان يقوي حزبنا ، ويرفع من شأن حزبنا في أعين العمال والفلاحين والشغيلة والمثقفين ، ويزيد من قوة حزبنا وقدرته . وهذا هو الجوهري اذ مادام العمال والفلاحون والشغيلة والمثقفون معنا فكل مايتبقى لا قيمة له .

ويقول رفاق آخرون ان الاعتراف الصريح بأخطائنا قد يؤدي الى ضعف ملاكاتنا واضطرابها وليس الى تكوينها وتقويتها ، وانه ينبغي علينا ان ننظم ملاكاتنا ونحافظ عليها ، وأنه يجب علينا ان ننظم حبها لذاتها وطمأنينتها . ويقترحون لذلك اخفاء اخطاء رفاقنا ، والتخفيف من النقد ، وأحسن من ذلك أيضا ، الاشاحة عن هذه الاخطاء . ووجهة نظر مثل هذه ليست خاطئة من اساسها فحسب بل انها خطرة الى أبعد الحدود ، خطرة ، قبل كل شيء ، على الملاكات التي نريد « تنظيمها » و « المحافظة » عليها . وتنظيم الملاكات والمحافظة عليها باخفاء اخطائها هو تحطيم هذه الملاكات نفسها بكل تأكيد . ونحن لو لم تكشف أخطاء عام ١٩٣٠ ولو لم نبين الملاكات باختبار هذه الاخطاء لكنا هدمنا ، بدون شك ، ملاكاتنا البولشفية والكولخوزية . ولو لم نكن قد كشفنا عن أخطاء رفاقنا في عصر تخريب شاختي ،ولو لم نكن قد بنينا ملاكاتنا الصناعية باختبار هذه الاخطاء لكنا خربنا ملاكاتنا البولشفية في الصناعة مؤكدا ، وان من يفكر بتنظيم الحب الذاتي عند ملاكاتنا باخفاء أخطائها ، ان من يفكر مثل هذا التفكير انما يحطم الملاكات والحب الذاتي عند هذه الملاكات على حد سواء ؛ ذلك لانه عندما يخفي أخطاءها يسهل تكرار اخطاء جديدة ، قد تكون اشد فداحة وقد تؤدي ، اذا كان هنالك مجال للاعتقاد ، الى انهيار تام للملاكات بسبب خطأ « حبها الذاتي » و « طمأنينتها » .

٦ ــ علمنا لينين أن نثقف انفسنا بالقرب من الجماهير لا أن نثقف الجماهير وحدها فقط .

ويعني هذا في بادىء الامر ، أنه ينبغي علينا ، نحن الموجهين، الا نقع في الغرور ، وان نفهم أننا اذا كنا أعضاء في اللجنة المركزية

او مفوضي الشعب فليس معنى هذا اننا نملك جميع المعارف الضرورية التي تسمح لنا بالقيادة بشكل حسن ، فالرتبة ذاتها لا تمنح المعارف والخبرة . أو بالاحرى ، لايمنح اللقب المعارف والخبرة .

فما معنى هذا ؟

ان هذا يعني ، ثانيا ، أن خبرتنا وحدها ، خبرة الموجهين، لاتكفي للتوجيه بشكل حسن ، وانه من الضروري ، تبعا لذلك، ان تكمل خبرتنا ، خبرة الموجهين ، بخبرة مجموع أعضاءالحزب، وبخبرة الجماهير العاملة ، وبخبرة الشعب .

وهو يعني ، ثالثا ، الا ندع دقيقة تفوتنا ، أو بالاحرى الا نقطع مابيننا وبين الجماهير من روابط .

وهو يعني رابعا ، الأصغاء ، بأذن منتبهة ، الى صوت الجماهير ، وصوت بسطاء الاعضاء في الحزب ، وصوت من يسمون « صغار الناس » ، وصوت الشعب ..

وما معنى القيادة بشكل حسن ؟

انها لاتعني ابدا : البقاء في المكتب وتنميق التعليمات .

ان القيادة بشكل حسن تعني :

اولا — ايجاد الحل الصحيح للمعضلة . والواقع أنه يستحيل ايجاد الحل الصحيح دون الانتباه الى خبرة الجماهير الذين يتحملون وحدهم نتائج ادارتنا .

ثانيا — تنظيم تطبيق الحل الصحيح . ولايكون هذا الابمعونة الجماهير المباشرة .

ثالثا — تنظيم مراقبة تنفيذ هذا الحل . وهو امر مستحيل بدون معونة الجماهير المباشرة .

١

اننا نحن الموجهين لانرى الاشياء والاحداث والرجال الا من جانب واحد ، او بكلمة اخرى ، الا من عال ، ومجالنا البصري، بنتيجة ذلك ، محدود تقريبا . اما الجماهير فعلى العكس ، ترى الاشياء والاحداث والرجال من جانب آخر ، أو بمعنى ثان ،من القاعدة ، فيكون مجالها البصري بالنتيجة محدودا ايضا . فيلزمنا، للحصول على حل صحيح للمعضلة ، أن نجمع بين هاتين الخبرتين، وفي هذا المجال فقط يكون الاتجاه سليما .

هذا هو المقصود من تثقيف انفسنا بالقرب من الجماهير، لاتثقيف الجماهير وحدها .

وهاكم مثلين يظهران صحة هذا الراي الذي أتى به لينين:

كان ذلك منذ عدة سنوات حين كنا ، نحن أعضاء اللجنة المركزية ، نتناقش في معضلة تحسين الوضع في حوض الدونيتز. وكان مشروع التدابير الذي قدمته مفوضية الشعب للصناعة الثقيلة بادي النقص . وأعيد مشروع الصناعة الثقيلة ثلاث مرات الى هذه المفوضية . وفي ثلاث مرات تلقينا من هذه المفوضية مشاريع مختلفة . ومع ذلك فقد كان من المستحيل اعتبارها مرضية . فقررنا جلب بعض العمال وبعض الموجهين المساعدين في الصناعة والنقابات من حوض الدونيتز . واجتمعنا بهؤلاء الرفاق مدة ثلاثة ايام . وانا ، نحن اعضاء اللجنة المركزية جميعا، اضطررنا على الاعتراف بأن اولئك المناضلين وحدهم ، اولئك « الناس الصغار » هم الذين عرفوا ايجاد الحل الصحيح لنا ، وانكم لتذكرون ، دون ريب ، القرار الذي أصدرته اللجنة المركزية للحزب ومجلس مفوضي الشعب عن التدابير اللازم اتخاذها للمضاعفة من استخلاص الفحم الحجري في حوض الدونيتز .نعم

ان هذا القرار من اللجنة المركزية للحزب ومن مجلس مفوضي الشعب الذي اعترف به جميع رفاقنا كحل صحيح عظيم ،هذا القرار اوحى الينا به رجال بسطاء من القاعدة .

ومثل آخر هو مثل الرفيقة نيكولاينكو . فمن هي نيكولاينكو؟

نيكولاينكو هي عضو بسيط في الحزب . انها واحدة من « بسطاء الناس »العاديين اشارت ، خلال سنة ، الى الوضع السيء لمنظمة الحزب في كييف ، وأعلمتنا رسميا عن روح العائلة،والطريقة الضيقة والحقيرة في معاملة المناضلين ، واخماد الانتقاد الذاتي، والسلطة التي كان يتمتع بها المخربون التروتسكيون . ولقد حاول التروتسكيون اضعاف نيكولاينكو ، هذه الذبابة المزعجة . واخيرا لكي يتخلصوا منها أبعدوها عن الحزب ، بكل بساطة. ولم تساعدها في اعادة الحق الى نصابه منظمة كييف ولا اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الاوكرايني ، ولم يسمح بحل هذه العقدة الا تدخل اللجنة المركزية للحزب وحده . ماذا نتج من فحص هذه القضية ؟ لقد نتج أن نيكولاينكو كانت على حق بينما كانت منظمة كييف على ضلال . لا أكثر ولا أقل . ومع ذلك فمن هي نيكولاينكو هذه؟ انها ليست بطبيعة الحال عضوا في اللجنة المركزية ولا مفوضا للشعب. انها ليست أمينة سر المنظمة المنطقية التابعة لكييف ، وليست كذلك أمينة سر خلية من الخلايا . انها ليست الا عضوا بسيطا في الحزب .

وكما ترون فان بسطاء الناس هم أحيانا اكثر قربا من الحقيقة من كثير من المؤسسات العالية .

ونستطيع أن نسرد كذلك عشرات ومئات من هذه الامثلة.

وينتج عن ذلك أننا اذا أردنا توجيه عملنا ، فان خبرتنا وحدها ، خبرتنا بصفتنا موجهين ، بعيدة عن أن تكون كافية . ولكي يكون توجيهنا سليما من الضروري ان نكمل خبرة الموجهين بخبرة مجموع أعضاء الحزب وبخبرة الجماهير ، وبخبرة من نسميهم « صغار الناس » .

ولكن متى يكون ذلك ممكنا ؟

لايكون ذلك ممكنا الا عندما يكون الموجهون مرتبطين ارتباطا وثيقا بالجماهير وبمجموع أعضاء الحزب ، وبالطبقة العاملة ، وبطبقة الفلاحين ، والشغيلة المثقفين.

والارتباط بالجماهير ، وتقوية هذا الارتباط ، والرغبة في الاصغاء الى صوت الجماهير ذلك مايبعث القوة والمنعة في الادارة البولشفية .

ويمكن أن نتخذ لنا قاعدة عامة مؤداها انه مادام البولشفيون محتفظين بارتباطهم مع جماهير الشعب الكبيرة فانهم لن يقهروا. وعلى العكس يكفي أن ينفصل البولشفيون عن الجماهير ، وان يقطعوا صلتهم بها ، يكفي أن يغطوا انفسهم بالصدأ المكتبي (البيروقراطي) حتى يفقدوا كل قوتهم ويتحولوا الى العدم .

تضم المعجزة اليونانية القديمة بطلا جبارا يدعى «آنتيه» وهو ، كما تدعي المعجزة ، ابن « بوزيدون » إله البحر و «جيه » إلاهة الارض . وكان هذا البطل متعلقا ، تعلقا خاصا ، بأمه التي ولدته وغذته وربته . ولم يكن يوجد بطل من ابطال ذلك العصر يستطيع الصمود أمام « آنتيه » لذا اعتبر بطلا

لايمكن قهره . ما الذي كان يعطيه تلك القوة ؟ ذلك لانه كان حين يشعر بالخور ، وهو يعارك خصمه ، يلمس الارض أمه التي ولدته وغذته فيستعيد قواه، ومع ذلك فقد كانت عنده نقطة ضعف بارزة هي: الخطر من أن ينفصل عن الارض بشكل من الاشكال . وكان خصومه يعرفون هذا الضعف ويتحينون الفرص للايقاع به ، حتى جاء أحد أعدائه الذي استفاد من هذا الضعف فهزمه . وكان العدو « هرقل » ، ولكن كيف نجح « هرقل » بدحر « آنتيه » ؟ لقد اقتلعه من على الارض ، ورفعه في الهواء ، وحرمه من اي اتصال بالارض ، فقضى عليه .

والبولشفيون ، كما ارى ، يذكروننا ببطل المعجزة اليونانية « آنتيه » . فكما أن « آنتيه » قوي بأمه الارض كذلك نرى أن البولشفيين أقوياء لانهم مرتبطون بامهم ، بالجماهير التي أخرجتهم الى حيز الوجود ، والتي غذتهم ، وكونتهم ، وطالما بقوا متعلقين بأمهم ، بالشعب ، فانهم لن يقهروا ابدا .

وهذا هو سر منعة الادارة البولشفية .

٧ — وأخيرا مسألة اخرى اريد أن أتكلم فيها على الوضع الشكلي والمكتبي السائد بصورة جافة عند بعض شيوعيينا حين يبحثون مصير هؤلاء الاعضاء في الحزب أو اولئك وخاصة فيما يتعلق بالطرد من الحزب او اعادة حقوق أعضاء الحزب الى المطرودين . والحقيقة أن بعض قادتنا في الحزب يخطئون حين لايعيرون انتباههم الى الرجال ، وأعضاء الحزب ، والمناضلين. وزيادة على ذلك انهم لايسعون في معرفة اعضاء الحزب ، ولايعرفون شيئا عن حياتهم ، ولا كيف يتقدمون ، وبصورة عامة انهم لا يعرفون المناضلين . ولهذا السبب نرى أنهم لاياخذون بعين الاعتبار

العامل الفردي حين يتعرضون لاعضاء الحزب ولمناضلي الحزب . ونظرا لانهم لا يأخذون بعين الاعتبار العامل الفردي في أثناء الحكم على اعضاء الحزب ومناضلي الحزب فانهم يعملون تبعا للصدفة عادة : فاما أن يرفعوا من شأنهم جملة ودون أي تحفظ ، واما أن يضربوهم جملة ودون أي تحفظ ، واما أن يبعدوهم عن الحزب بالالوف أو بعشرات الالوف . وبصورة عامة يجهد هؤلاء الموجهون بالتفكير جملة في مصير عشرات الالوف دون أن يعيروا اهتماما « للوحدات » ، وللاعضاء المفصولين عن الحزب . وان ابعاد الالوف او عشرات الالوف من الاعضاء ، من الحزب هو بالنسبة اليهم شيء قليل جدا . وهم يعزون انفسهم بفكرة أن حزبنا قوي يضم مليونين من الاعضاء وان عشرات الالوف من المطرودين لايمكن أن يبدلوا شيئا في وضع الحزب . ولكن الرجال المعادين للحزب بشكل صارم ، هم وحدهم ، الذين يمكن ان يعاملوا أعضاء الحزب مثل هذه المعاملة .

ان هذا الموقف الذي يتصف باللامبالاة الجافة تجاه الناس، وتجاه أعضاء الحزب ومناضليه يؤدي حتما الى تذمر بعض المنخرطين في الحزب والى اثارتهم ، والخونة التروتسكيون يسيطرون عادة بمهارة على هؤلاء الرفاق ويقودونهم بحنكة الى مستنقع التخريب التروتسكي .

لم يكن التروتسكيون وحدهم يشكلون قوة كبيرة في حزبنا. اذكروا المناقشة الاخيرة التي جرت في حزبنا في عام ١٩٢٧ . لقد كانت استفتاء حقيقيا للحزب . فمن أصل ٨٥٤٠٠٠ عضوا في الحزب صوت حينذاك ٧٣٠٠٠٠ عضوا منهم ٧٢٤٠٠٠ عضوا مع الحزب ، مع اللجنة المركزية وضد التروتسكيين . وصوت مع التروتسكيين

٤٠٠٠ عضوا من أعضاء الحزب أي مايقرب من ٥ر٠٪ واستنكفه ٢٦٠٠ . ولم يشترك في التصويت ١٢٣٠٠٠ من أعضاء الحزب اما لانهم كانوا على سفر او لانهم كانوا على راس عملهم .

فاذا أضفنا الى الـ ٤٠٠٠ عضوا الذين صوتوا مع التروتسكيين جميع اولئك الذين استنكفوا ، بافتراض أنهم يعطفون على التروتسكيين ، واذا أضفنا الى هذا العدد ليس الـ ٥ر٠٪ الذين لم يشتركوا في التصويت ، كما تفرض ذلك القاعدة ، بل ٥٪ من غير المشتركين أي مايقرب من ٦٠٠٠ عضوا من أعضاء الحزب فاننا نحصل على مايقرب من ١٢٠٠٠ عضوا يعطفون على النزعة التروتسكية بأي شكل من الاشكال . هذه هي كل قوة السادة التروتسكيين . اضيفوا الى ذلك أن كثيرا من هؤلاء الاعضاء قد خدعوا بالنزعة التروتسكية فتركوها ، اذا فعلتم ذلك فانكم حاصلون على تفاهة القوى التروتسكية . واذا كان المخربون التروتسكيون يملكون ، على الرغم من كل هذا ، بعض الاحتياطي حول حزبنا فما ذلك الا لان السياسة الضالة التي يسير دفتها بعض رفاقنا فيما يتعلق بالطرد من الحزب او اعادة المطرودين ، او اللامبالاة الجافة عند بعض رفاقنا حول مصير هؤلاء او اولئك من اعضاء الحزب ، وهؤلاء واولئك من المناضلين تضاعفان ، بصورة صحيحة ، عدد المتذمرين والثائرين ويخلقان ، بالشكل نفسه ، اختياطيا للتروتسكيين .

وفي اغلب الاوقات يخرج من الحزب بعض الاعضاء بسبب ما يسمى بالانفصالية . فما هي الانفصالية ؟ انهم يعتبرون ، كما يبدو ، عضوا من اعضاء الحزب لم « يتمثل » برنامج الحزب كانه انفصالي يجب أن يخرج . ولكن هذا خطأ ايها الرفاق اذ لايمكن تأويل مبادىء حزبنا كهذا التأويل السخيف . فلكي يتمثل المرء

برنامج الحزب ينبغي أن يكون ماركسيا مجربا ومتمتعا بثقافة نظرية . وانني لا أعرف فيما اذا كان كثير من الاعضاء في حزبنا قد تمثلوا منهاجنا ، وأصبحوا ماركسيين حقيقيين مجربين ومالكين لثقافة نظرية . واذا تابعنا المسير على هذه الخطة ، فاننا لانترك في الحزب ، الا المثقفين او العلماء عامة ، ومن ذا الذي يكون بحاجة لمثل هذا الحزب حينئذ ؟

ان لدينا ، من أجل الارتباط بالحزب ، صيغة لينينيةمحققة صمدت لجميع الامتحانات ، ويعتبر ، حسب هذه الصيغة ، عضوا في الحزب كل من يعترف ببرنامج الحزب ، ويدفع الاشتراكات ، ويعمل في احدى منظماته.لاحظوا ذلك جيدا : ان الصيغة اللينينية لا تتكلم على « تمثل » البرنامج ولكن على « الاعتراف » بالبرنامج. وهما أمران مختلفان تمام الاختلاف . ومن العبث ان نبرهن ان لينين هو المحق وليس اولئك الرفاق في الحزب الذين يثرثرون عبثا عن تمثل البرنامج . وهذا أمر ملحوظ . فاذا كان الحزب ينطلق من هذه النقطة التي ترى أن الرفاق الذين يتمثلون برنامج الحزب فقط ، والذين أصبحوا ماركسيين نظريا ، هم الذين يجوز لهم ان يصبحوا اعضاء في الحزب ، فانه ـ أي الحزب ـ لن يخلق في داخله آلاف الحلقات الشيوعية ومئات المدارس الحزبية حيث تعلم فيها الماركسية لاعضاء الحزب وحيث يساعد هؤلاء في تمثل برنامجنا . وانه لواضح جدا ان الحزب اذا نظم هذه المدارس وهذه الحلقات لاعضائه فما ذلك الا لانه يعرف ان الاعضاء في الحزب لم يكن لديهم الوقت الكافي لتمثل برنامج الحزب ، وانه لم يكن لديهم الوقت الكافي أيضا لكي يصبحوا ماركسيين ذوي ثقافة نظرية.

وهكذا اذن ، فلكي تقوم سياستنا في مسألة الارتباط بالحزب وبمسائل الطرد ، ينبغي أن نقضي على هذه الطريقة الحمقاء في تأويل مسألة الانفصالية .

ولكننا نخطىء أيضا في نقطة اخرى في هذا الميدان . الحقيقة ان رفاقنا لايعترفون بوجود حل وسط بين الطرفين . فيكفي أن يرتكب عامل ، عضو في الحزب ، خطيئة بسيطة ، وأن يحضر متأخرا الى اجتماع حزبي مرة واحدة أو مرتين والا يدفع اشتراكه لسبب من الاسباب حتى يطرد حالا من الحزب . وهم لايسعون في وضع درجة لذنبه ، والسبب الذي منعه من حضور الاجتماع ، والعلة التي اضطرته الى عدم دفع اشتراكه . ان النظام المكتبي (البيروقراطي) ، في هذه المسائل ، في غاية الغرابة . وليس من الصعوبة ان نفهم انه ، نتيجة لهذه السياسة في اللامبالاة الجافة ، قذف بعمال معتبرين من الفئة الاولى ، وبستاخانوفيين ممتازين ، الى خارج الحزب . الم يكن في الوسع توجيه انذار قبل الطرد من الحزب ؟ واذا كان هذا لايجدي فتوجيه لوم أو توبيخ ، واذا كان هذا لايجدي فتعيين مهلة للمخطىء كي يصلح خطأه او — بأسوأ الاحتمالات — تأخير درج اسمه في قائمة المرشحين ، ولكن ليس ابعاده من الحزب لاول وهلة ؟ وبطبيعة الحال كان في الامكان القيام بذلك . ولكن للقيام بذلك يجب أن يكون المرء منتبها للرجال ، ولاعضاء الحزب ، ولمصير اعضاء الحزب .

وهذا ماينقص بعض رفاقنا بالضبط .

ولايزال لدينا الوقت . لايزال لدينا وقت كاف للانتهاء من هذه الحال المريبة .

□ □ □

مواد البحث

١

٢

المكتبة الاشتراكية

صدر منهـــا :

١ ــ الانسان أثمن رأسمال مع في سبيل تكوين بولشفي	ستالين
٢ ــ اليسارية مرض الشيوعية الطفولي	لينـــين
٣ ــ الماركسية وقضايا علم اللغة	ستالين
٤ ــ القضايا الاقتصادية للاشتراكية فيالاتحادالسوفياتي	ستالين
ــ الاسس اللينينية	ستالين
٦ ــ حول مسائل اللينينية	ستالين
٧ ــ المادية الدياليكتيكية والمادية التاريخية	ستالين
٨ ــ البيان الشيوعي	كارل ماركس وفريدريك انجلز
٩ ــ دور العنف في التاريخ	فريدريك انجلز
١٠ــ حرب الفلاحين في المانيا	فريدريك انجلز
١١ــ لودفيج فيورباخ ونهاية الفلسفة الكلاسيكية	فريدريك انجلز
١٢ــ دور الفرد في التاريخ	بليخانوف
١٣ــ المادية المقاتلة	بليخانوف
١٤ــ القضايا الأساسية في الماركسية	بليخانوف
١ــ الاشتراكية الخيالية في القرن التاسع عشر	بليخانوف
١٦ــ اصلاح اجتماعي أم ثورة	روزا لوكسمبرغ
١٧ــ حول تاريخ تطور الفلسفة	جدانوف
١٨ــ لمحة عن تطور المجتمع منذ بدء التاريخ	سيفال
١٩ــ الطبقة والأمة	غليرزمين
٢٠ــ دور الافكار التقدمية في تطوير المجتمع	كونستانتينوف

((إذا أردنا أن نعالج الفقر بالرجال، وأن نضمن أن تتمتع بلادنا بملاكات كافية، قادرة على القيام بالتقدم الفني وعلى دفعه إلى العمل، فإن علينا أن نعرف تقدير الرجال قبل كل شيء، وتقدير الملاكات، وتقدير كل عامل قادر على أن يكون نافعا للمصلحة العامة ...

ويجب أخيرا أن نفهم أن من بين جميع رؤوس الأموال الثمينة في العالم يوجد رأس مال هو أكثر أهمية وأكثرها فضلا ألا وهو الرجال)).

النشر والتوزيع في الاقطار العربيـة

دار دمشق بيروت ـ شارع سوريا ـ بناية صمدي وصالحة ص.ب ٨٧٢٧
دمشق : شارع بورسعيد هاتف ١١١٠٢٢

السعر ٣٠٠ ق.ل

